ثالثاً: في المكتبات

obeikandl.com

obeikandl.com

في الوعي المكتبي العام

المكتبة اليوم تشكل مرفقاً حيوياً من مرافق التنمية في أي مجتمع، بل ربما تقاس التنمية بمدى ما وصل إليه المجتمع من وعي تجاه استخدام المكتبة. كثير من المناطق تولي المكتبة اهتماماً منقطع النظير، ففي مجتمع قائم على الضرائب تجد أن المكتبات ينالها قسط لا بأس به من ضرائب القوم جنباً إلى جنب مع أقسام الشرطة والإطفاء والمرافق العامة الأخرى. والمكتبات بأنواعها العامة والمدرسية والجامعية والمتخصصة والشخصية تخضع لأنظمة تسيرها من حيث إنشائها وسير عملها، والذي يفرض هذه الأنظمة هو طبيعة العمل المراد من هذه المكتبات أن تقوم به، ويأتي في الدرجة الأولى أسلوب وصول المادة إلى المستفيد بأسرع وقت ممكن، ولعل هذا يبرز وجود أنظمة للتصنيف والفهرسة تكاد تجعل المادة المطلوبة من المفقودات، إذ إن كثيراً من هذه الأنظمة والأساليب قد غرقت في التوسع واستعمال الرموز بحيث يصعب على المستفيد حلها أو الوصول منها إلى نتيجة، ومع هذا فهي تفرض نفسها لعوامل كثيرة يأتي على رأسها عدم وجود البديل ثم تشبع العاملين بالمكتبات بها وعدم رغبتهم في استخدام البديل ولو وجد. ولكن هذا الأمر لم يعد يوماً عذراً للعزوف عن استعمال المكتبة.. إذ إن المشكلة تكمن في إقناع الناس

بأهمية استخدام المكتبة ودورها في المجتمع، فممن يأتي هذا الإقناع؟ غالباً ما يأتي هذا الإقناع من المدرسة والبيت على حد سواء ولكن الواقع ربما يصدمنا إذا علمنا أن المدرسة والبيت لا يعلمان بوجود المكتبة.

والحديث هنا عن المكتبة من حيث كونها المركز الذي ترتكز عليه المدرسة والجامعة وربما الحي والقرية والمدينة.. وإذا كان المهتمون بأمور المكتبات يحاولون فرض هذه الفكرة إلا أننا هنا وبحكم ما ندين به نقول إن المركز الأول في جميع هذه البيانات، إنما هو المسجد، ومن ثم تأتي المكتبة، والمراد بكونها مركزاً أنها تكون في وسط المدرسة من حيث البناء ثم إنها تكون مكاناً للمحاضرات والندوات والأنشطة الثقافية الأخرى، كما أنها موقع ممتاز لقضاء الفراغ، فلو قدر أن الأستاذ لم يحضر في درس من الدروس فإن الطلبة عندها يوجهون إلى المكتبة ولو لمجرد التصفح والتعرف عليها وعلى مرافقها ومجموعاتها. وهذا الأمر يتوسع عند التقدم في السن، إذ قد يفرض على الطلبة في سنة متقدمة ومرحلة عالية أن يدرسوا فكرة سهلة ميسورة عن المكتبة دون إدخالهم في طلاسم «ديوي» وأترابه فالقصد ترغيبهم في المكتبة لا تنفيرهم منها!

وكثير من المهتمين في التربية والتعليم يعزو عدم استعمال المكتبة في المرحلة الجامعية ـ إلا أيام الامتحانات ـ إلى انعدام الوعي المكتبي عند الطلبة قبل قدومهم إلى الجامعة، فالكثير من الأساتذة يرغبون في تكليف طلابهم بإعداد بحوث لكنهم يصدمون عندما يواجهون بأمية الطالب في استخدام المكتبة فيلجأون إلى استعمال الامتحانات والتركيز عليها وإن لم يوعز إليهم بذلك.

كما أن الحديث هنا عن المكتبة بمعناها الحديث الذي يجعل من الحصول على الكتاب آخر أهدافها إذ بدأت المكتبة تعتمد وسائل متعددة في التقليل من مجموعاتها مع استمرار خدماتها للمستفيدين، وهذا لا

يتأتى إلا باستخدام التقنية في المكتبات مع وجود شبكات للمكتبات، وتنسيق وتعاون بينها بحيث يحكمها خدمة المستفيد بدلاً من أن يحكمها التنافس في اقتناء النفائس من الكتب والدوريات وغيرها من أوعية المعلومات، ولا غرابة في أن تشغل المكتبة في يوم من الأيام حيزاً لا يتعدى المكتب المتوسط الحجم تكون المجموعات قد رصَّت فيه، بحيث تكون فتاوى ابن تيمية مثلاً وهي في سبعة وثلاثين مجلداً، في حجم علبة الكبريت، ولا غرابة فإن كتاباً من ١٢٠٠ ـ ألف ومائتي صفحة يشغل اليوم حجماً لا يتعدى البوصة المربعة. وهذا ما يجعلنا نقول إن الحصول على المجموعات سيكون آخر ما تصبو إليه مكتبات الغد، ووسائل التطوير موجودة مدعمة باستخدام الحاسب الآلي، فيكفي اليوم أن تذهب إلى أي مكتبة باحثاً عن مادة علمية لتجد معلومات عنها في هذه المكتبة كما أنك ربما حصلت عليها في وقت ليس بالطويل، وإن لم تكن موجودة مادياً في المكتبة التي أنت فيها، بل وربما لا تكون موجودة في المدينة التي أنت فيها، ولا أبالغ إذا قلت بل ربما لا تكون موجودة في البلد التي أنت فيها ومع هذا كله تتاح الفرصة للحصول عليها.

على أن الذي يمنع من استخدام هذه الخدمات واستغلالها هو الضعف في الوعي المكتبي، فهي ليست موجودة، لأنه ليس هناك من يستفيد منها، فدراسات المكتبات تؤكد دائماً على تغطية حاجات المستفيد دون التوسع في الخدمات إن كانت غير مطلوبة، ومن هنا يتضح أن المستفيد من المكتبة هو الذي يتحكم في أسلوب الخدمة المكتبية، وهو المعيار الحقيقي المادي الفعال في نجاح أو فشل الخدمات الكتبية في أية مكتبة مهما كان نوعها. وقد فشل أحد مراكز التوثيق بمكتبته عندما قرر له أن يوجد دون نظر للمستفيدين ودون اعتبار لاحتياجاتهم، مع أن المركز قد زود بكل الوسائل والأجهزة التي تعين على سيره سيراً فعالاً، وعموماً

فالمكتبات كالسلع إن لم تجد زبوناً بارت في السوق، ونحن أهل المكتبات إنما نحن مسوقون للعلم والمعرفة، ولكن يبدو أن أسلوبنا في التسويق يحتاج إلى إعادة نظر كما أن أوراق تسويقنا تحتاج إلى ترتيب جديد بحيث نجعل المستفيد العامل الرئيسي في مهمتنا التسويقية الشاقة هذه، ومع هذا فنحن لا نزال نرفض أن نضع منتجاتنا وبضاعتنا في المزاد العلني، فلعل الأمر لم يصل لهذا ولعله لا يصل إن شاء الله إلى هذا!!

أما المكتبات المدرسية والجامعية فينطبق عليها تماماً ما ذكر في الفقرة الأولى، فهي لا تقل عن المكتبات الأخرى أهمية إذا أحسن فيها الاستعمال واعتبر فيها التوجيه نحو الصالح العام الذي يتناسب مع رسالة المرأة ودورها ووظيفتها في مجتمع مسلم. ومسألة التوجيه التربوي مسألة عويصة ولا تزال موضع مناظرة بين المهتمين في شؤون المكتبات والمربين على حد سواء. وكالعادة ينقسم الرأي هنا إلى نظرتين، الأولى تقول بحتمية التوجيه الثقافية وذلك باقتناء الكتب التي تهتم في بناء مجتمع صالح حسبما تمليه مبادىء هذا المجتمع. والنظرة الأخرى تقول بترك الحبل على الغارب وإتاحة الفرصة للمستفيد للحكم على المواد العلمية بالصلاحية وعدمها، دون الأخذ بعين الاعتبار عوامل السن والرغبات الشخصية. ولعل الأخيرة نظرة مثالية تحتاج إلى نظر من الواقع الذي أثبت عملياً فشلها. مما حدا بالكثير من المهتمين بالمكتبات والمربين إلى إعادة النظر في نظرتهم هذه بعد أن مستهم شخصياً بأبنائهم وأقربائهم ومعارفهم. ومسألة التوجيه الثقافي هذه من المسائل التي تضطلع بها المكتبة، وهي أيضاً مؤشر من مؤشرات الوعي المكتبي العام، إذ إن المستفيد أيضاً يفرض بطريق غير مباشر وجود هيئة توجيه ثقافي في المكتبة أو في المصلحة العامة التي تشرف على المكتبة.

والحاصل هنا أن الوعي المكتبي العام إنما يبدأ من شعور المستفيد

بأهمية المكتبة ودورها في الوعي الثقافي والاجتماعي والاقتصادي العامة للمجتمع. وهذا الشعور لا يولد مع المستفيد بل لا بد من زرعه فيه من قبل فئات وهيئات خاصة تبدأ في البيت ثم المدرسة. وفي الآونة الأخيرة نجد أن المسجد بدأ يساهم في زرع الوعي من خلال إنشاء مكتبات متخصصة صغيرة ملحقة ببعض المساجد في أحياء المدن والقرى.

أما البيت والمدرسة فلا يزال يتوقع منهما الاهتمام بهذا الأمر، خاصة أن البيت اليوم تتوافر فيه عوامل كثيرة تشجع على بث هذا الوعي لم تكن متوافرة فيه في الأيام الخوالي، وإزاء هذا التحول في البيت لا بد من الشعور بالتفاؤل نحو إيجاد وعي كتبي عام. على أن هذا لا يغفل المهمة الملقاة على عاتق المكتبيين أو من يسمونهم بعلماء المكتبات في محاولة تسويق بضاعتهم بشتى الوسائل والأساليب متخذين من وسائل الإعلام المتعددة منطلقاً لهم في هذا ومكتبات الأطفال أيضاً.

وللأطفال أيضاً نصيب وافر مما ترك الأولون والآخرون، وإن كان نصيبهم مما ترك الأولون أولى نظراً لما أصيب به معظم الآخرين من «الهوس» الثقافي الناتج عن ابتعادهم عما ترك الأولون، ولذلك فالحرص على أصالة الثقافة إنما تبدأ في مكتبات الأطفال التي ينتظر أن تركز على تراث هذه الأمة بدلاً من التركيز على «الرجل الوطواط» و «سوبرمان» والفارسة الحسناء وما إلى ذلك من حشو الكلام الذي أنتم به أعلم.

على أن مكتبات الأطفال عبارة فيها تجوز، إذ المقصود إقامة أو التكثيف في إقامة أقسام للأطفال في المكتبات العامة. ومع العلم أن هناك مكتبة أو مكتبتين للأطفال في بعض المناطق إلا إن الأمر ليس متروكاً للاجتهادات الشخصية ومدى الوعي الذي يتمتع به القائمون على أقسام مختلفة أو فئات مختلفة تساهم في إقامة هذا النوع من المكتبات، فنحن نعلم أن بعض الجمعيات النسائية الخيرية لها يد طولى في الاهتمام بهذا

الأمر وهي حقاً تحمد على مجرد التفكير في إيجاد مكتبة، فما بالك بالقيام بها والصبر على متطلباتها. والدعوة هنا يراد منها تعميم هذه الفكرة بحيث يسهل على أطفال الحي ارتياد المكتبة والاستمتاع بما فيها من مقتنيات ورقية ووسائل تعليمية، إذ إن مكتبات الأطفال اليوم يكاد يغلب عليها إطلاق عبارة «مركز الوسائل للأطفال» بدلاً من المكتبة، نظراً لما تتمتع به هذه المكتبة من وسائل مغرية للأطفال من آليات مختلفة وعروض وسرد للقصص ونحو ذلك، فالكل يعلم أن الطفل يعيش مرحلة تلقين أكثر من كونه يعيش مرحلة اعتماد على النفس في اختيار الأصلح، وإذا كنا قد ذكرنا أننا نعيش عصر الآلة فليس أولى من أن يبدأ التدريب على الآلة في سن مبكرة، بحيث تصبح سهلة المنال وبحيث تخرج المكتبة علماء في الآلة وتطويرها، فنشهد بعد جيل الانتقال من التدريب على تشغيل الآلة إلى التدريب على صناعة الآلة وتطويرها ولعل ما يأتي على رأس هذه الآلة ذلكم الجهاز العجيب حقاً والذي يحلو لنا أن نسميه بالحاسب الآلي، على أن مجال الحديث عن الطفل واهتماماته مجال محبب للنفس لكنه يحتاج إلى الخبرة والتأهيل لئلا تتدخل الاجتهادات الشخصية التي يعتقد أنها بناءة بينما هي آراء تنقصها العلمية والتخصص، وكان الله في عون الجميع.

الجزيرة ـ الجمعة ٦ ذو القعدة ١٤٠٤ هـ

الموافق ٣ أغسطس ١٩٨٤ م ـ العدد ٤٣٢٧

القوى العاملة في المكتبات

لا شك أن هذه البلاد مرت في فترة من فترات التنمية التي تبنتها بعجز في القوى العاملة استعانت في التغلب عليه بالخبرات والمهارات العربية والإسلامية والأجنبية، ولم يقف هذا العجز حائلاً دون تحقيق الطموح التنموي الذي سعت إليه المملكة العربية السعودية. واليوم وبعد توافر كوادر وطنية ماهرة بدأت هذه الظاهرة تأخذ طابعاً تاريخياً يذكر عند الحديث عن خطوات التنمية في البلاد، وإن كانت هذه الخطوات لا تزال تحتاج إلى الاستعانة بالآخرين، ولكنها استعانة تختلف في حجمها ونوعها عن الأسلوب الذي اتبعته خطط التنمية السابقة. فأبناء البلاد اليوم بدأوا يضربون أرقاماً قياسية في تغطية الحاجة إلى القوى العاملة في كثير من المجالات، وصرنا نسمع بين وقت وآخر تحول بعض المؤسسات الوطنية إلى الاكتفاء التام بأبناء البلاد. مع هذا الاكتفاء لا تغفل إسهامات الآخرين من الأخوة والأصدقاء في أوقات كانت فيه بحاجة إليهم، فتذكر لهم جهودهم وخبراتهم وتشكرها لهم. وتنظر إلى الفترة التي أعانوا فيها على المُضي في طريق التنمية على أنها فترة متميزة تلاقت فيها جنسيات مختلفة في سبيل تحقيق الطموحات التي يتطلع إليها قادة هذه البلاد ورجالها.

وأنا لا أقل هنا إننا انتقلنا من فترة الاستعانة إلى فترة الاكتفاء.

ولكنني أقول إن هناك إصراراً واضحاً على هذا الانتقال بدأ يؤتي ثماره. ويأتي هذا الإصرار الواضح من خلال المؤسسات والمعاهد التي تخصصت في القوى العاملة في الرياض والجبيل وينبع وغيرها.

والمكتبات نالها ما نال غيرها من الاستعانة والانتقال. وفي سبيل الانتقال إلى الاكتفاء بأهل البلاد قامت أيضاً المؤسسات التعليمية التي تقدم مؤهلات علمية في المكتبات متمثلة في دورات يقدمها معهد الإدارة العامة بالرياض وفروعه، وقسم المكتبات والمعلومات بجامعة الملك عبد العزيز بجدة وقسم المكتبات والمعلومات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وأقسام مكتبات ومعلومات حديثة بعضها بدأ يخطو خطواته الأولى وبعضها في طور الإنشاء في كل من جامعة أم القرى وجامعة الملك سعود، والرئاسة العامة لتعليم البنات. هذا بالإضافة إلى البعثات العلمية التي درست المكتبات في أوروبا وأمريكا والبلاد العربية، ثم عادت لتدرس المكتبات في هذه المدارس، ولتعمل أيضاً في المكتبات على اختلاف أنواعها.

ويكاد يلاحظ المرء أنه قبل عشر سنين فقط لم يكن هناك شخص واحد من أهل البلاد يهتم بأمور المكتبات على المستوى التعليمي، واليوم تكاد مدارس المكتبات تكتفي بأعضاء هيئة التدريس فيها من السعوديين. وهذه نقلة غير سهلة أكرر عدم إغفال جهود الآخرين قبل تحقق هذه النقلة ومعها وبعدها.

ومكتبة الملك فهد الوطنية ـ مثل غيرها من المكتبات المستجدة ـ تزيد من عبء مدارس المكتبات ودعوتها إلى الإكثار النوعي والكمي من خريجي المكتبات ليشغلوا مهمات علمية تحتاج إلى خبرة ومهارة لا يمكن أن تتوافر في غيرهم وفي وقت يسير. ووقوفي مع مكتبة الملك فهد يأتي من حيث كونها ـ فيما فهمته من حديث رئيس التحرير الذي نشر في عدد

الجزيرة (٤٧٦٩) الصادر في ٥/ ٢/ ١٤٠٦ هـ ـ أنها مكتبة وطنية قبل أن تكون مكتبة عامة. وهذه لها مدلولاتها الكثيرة تحدثت عن موقفين منها فقط في سابق من الزمان. وكون المكتبة وطنية يوحي بأن العاملين فيها كلهم سيكونون من أبناء هذه البلاد، وذلك لتصطبغ هذه المكتبة باسمها الذي أريد لها، فلا تكتفي من الاسم بالمواد العلمية والأعمال «المكتبية» التي تقوم بها فقط، بل وبالعاملين بها، حيث إن توافر الكوادر المحلية يجعل للمكتبة الوطنية نصيباً وافراً منهم وذلك لأن المكتبة الوطنية ستحوي من المعلومات الخاصة ما يفضل أن يتناولها بالترتيب والإجراء عقول وسواعد محلية، ولا مندوحة من ذلك في وقت تسعى فيه حكومات العالم كلها ودوله إلى أن تتبع أسلوب «سرية المعلومات»، بحيث تحد من اطلاع الآخرين غير ذوي العلاقة على معلومات يفضل ألا يطلعوا عليها. وإذا لاحظنا أن المكتبة الوطنية قد تشتمل على وثائق وملفات خاصة فضلنا ألا تكون في متناول كل شخص.

يقال إن مدارس المكتبات المتعددة لا تزال قاصرة عن سد الحاجة إلى متخصصين في المكتبات ليغطوا الوظائف المختلفة في مكتبات متعددة، وهذا حق. ولا يتوقع للمكتبة الوطنية أن تغطّي حاجتها هذه من خلال استجلاب الخريجين فقط، وإن كان هذا «طريقاً طبيعياً» في شغل وظائف المكتبة المتعددة، إلا أن هناك طرقاً أخرى «طبيعية» كذلك ومنها أن تنتهج المكتبة أسلوب الابتعاث الداخلي بحيث تهيىء مجموعة من الخريجين من المدارس الثانوية لدراسة المكتبات والحصول على مؤهلات جامعية في المكتبات والمعلومات وذلك لسد حاجة الأقسام الفنية من مفهرسين ومصنفين وعاملين في التزويد والتسجيل والأقسام العامة من استعارة ومراجع ونحوها. ثم تعمد إلى هؤلاء الخريجين وتتيح لهم فرصة الترقي العلمي بحيث ينخرطون في برامج الدراسات العليا ليحصلوا على

مؤهلات عالية تقودهم إلى إدارة هذه الأقسام، بل وإلى إدارة المكتبة ذاتها، ثم تتيح لبعضهم ممن لا يجد في نفسه القدرة على المواصلة التامة فرصة مواصلة ما يسمونه باستمرارية التعليم بحيث يحضر المتخصص بالمكتبات دورات طويلة أو قصيرة المدى تكون مهمتها «تحديث» الجانب العلمي لدى هؤلاء المتخصصين سواء في مجال المكتبات أو في مجال المعلومات. ثم تعمد المكتبة الوطنية من خلال ما تعقده من ندوات إلى أن تقحم العاملين بها في حضور هذه الندوات، وربما المساهمة فيها مع عدم الاقتصار على حضور الندوات التي تقيمها المكتبة ذاتها بل حضور الندوات والمؤتمرات الأخرى التي تقام داخل البلاد أو خارجها.

هذا كله إلى جانب عدم إغفال الحوافز المالية والمعنوية على السواء بحيث يصبح الإقبال على العمل في المكتبات بعامة والمكتبة الوطنية بخاصة مجال تنافس بين الشباب السعودي مما سيعود في النهاية بالخير على هذا التخصص عموماً، وعلى العمل في المكتبة الوطنية بشكل خاص.

والحق أنه رغماً عن كثرة مدارس المكتبات اليوم، إلاّ أن الانخراط في هذا المجال لا يزال يعاني من فهم متكامل له من حيث المهمات المبدئية، ومن حيث فرص الترقي لا الوظيفي فحسب، ولكن الاجتماعي كذلك، وهذا الأخير هو ما يشغل كثيراً من الشباب الذين يبدأون مسيرتهم الجامعية بدراسة علوم المكتبات والمعلومات ويتطلعون إلى فهم لهذا التخصص يفوق مجرد الاقتصار على خدمة الكتاب بالمعنى السطحي الذي يراه البعض متمثلاً في مجموعة كتب تؤخذ من الرفوف وترد.

وهنا يأتي أثر الحوافز المعنوية والمادية التي لا يشك علماء الإدارة بأن لها تأثيراً واضحاً على سير الأعمال والإقبال عليها. بالإضافة إلى الدور الإعلامي الذي ينتظر منه أن يقدم صورة واضحة عن أعمال

المكتبات والمعلومات ويمكن أن تلعب المكتبة الوطنية فيه دوراً بارزاً من حيث المشاركة في إعداد برامج إعلامية مقروءة ومسموعة ومرئية حول المكتبة ودورها في تنمية المجتمع، وحول التحول البارز في أعمال المكتبات والتحدي الواضح الذي تقابله هذه الأعمال في مقابل التوسع في سيطرة الآلة عموماً والحاسب الآلي خصوصاً على أعمال المكتبة، والشباب اليوم ينظرون إلى الحاسب الآلي على أنه قمة من قمم التطور العلمي، ويتطلعون إلى أن يكون لهم نصيب في تشغيل هذا الجهاز العجيب.

«مكتبة الملك فهد» كمكتبة وطنية سعودية تستطيع أن ترسم خطة طويلة المدى في سبيل أن تكتفي بالسعوديين في شغل وظائفها، بل لا أستبعد أن أرى من مهماتها ـ ولو الثانوية ـ السعي وراء تكثيف وتمكين فكرة الاكتفاء على مستوى المكتبات بالمملكة بما تقدمه هذه المكتبة من معاملة نموذجية لمنسوبيها يجعل من العمل بها نوعاً من التميز في وسط المكتبات والعاملين بها.

والنماذج هذه لن تتحقق ما لم تحاول المكتبة التوسع في النظر إلى العاملين بها بحيث تحاول إشراكهم في صناعة نظامها وتنفيذه، بل ربما في صناعة وصياغة نظام شامل للمكتبة تترك فيه مجالات محدودة جداً للاجتهادات الشخصية والقرارات العفوية التي يتطلبها المقام في بعض المواقف التي قد لا يكون تطبيق النظام حرفياً من قبل العاملين في المكتبة مطلوباً فيها، حينما يرى البعض أنه يتعارض مع المصلحة العامة ـ في ظرف خاص ـ تسعى المكتبة إلى القيام به.

ولا أريد أن أتوسع في هذا المقال، لكني أؤكد على ضرورة سعودية القائمين على المكتبة وأهمية هذا النهج وأدعو القائمين على التخطيط لها ـ مع اعتباري لكل المجهودات المشكورة المبذولة من قبل

هؤلاء ـ إلى الحرص على هذا النهج ما أمكن، واتباع الأساليب التي تحقق هذا الهدف سواء كانت قريبة أو بعيدة المدى. ولا يبدو من هذه السطور شيء من عدم التفاؤل حول تحقيق مثل هذا الهدف، لأن الحال عموماً ـ وحال المتخصصين في المكتبات بخاصة تفرض على من يطرق هذا الباب شيئاً من التفاؤل في تحقيق أهداف أعرض من هذا الهدف. ولو عدت إلى مقالة مطولة كتبتها عام ١٤٠٠هـ وظهرت عام ١٤٠٢/ ١٩٨٢م حول موضوع القوى العاملة والمكتبات لما وجدت هذا التفاؤل بهذا الوضوح فيها. واليوم وبعد ست سنين فقط أنظر إلى هذه المقالة على أنها تمثل تلك المرحلة فقط، وتقصر دون أن تمثل مرحلتنا التي نعيشها اليوم حيث تصاعد عدد المكتبيين وأخصائيي المعلومات من السعوديين. وهذا سيسهل على مكتبة الملك فهد مهمة كانت ستصبح غير سهلة فيما مضى من السنين القليلة الماضية. ومع هذا التفاؤل إلاّ أن الأمر لا يزال يحتاج إلى مواصلة الطريق في سبيل الاكتفاء، وعدم التوقف،وكان الله في عون الجميع.

الجزيرة ـ السبت ١٦ رمضان ١٤٠٦ هـ
الموافق ٢٤ مايو ١٩٨٦ م ـ العدد ٤٩٨٦

إثراء المكتبة السعودية..!!

حديثي حول هذا الموضوع لا يخلو من الذاتية، فإني بحكم التخصص أنتمي للمكتبة وتهمني كثيراً المكتبة السعودية. وسأركز هنا على ثلاثة أنواع من المكتبات السعودية التي تتركز في مدينة الرياض «عروس المدائن».

المكتبة الوطنية..

النوع الأول: المكتبة الوطنية. وهي هنا مكتبة الملك فهد الوطنية التي كانت في نشأتها نوعاً من التكريم لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز في مناسبة من مناسبات الخير. ثم تطوَّرت الفكرة لتسدَّ المكتبة الفراغ الذي كانت تعانيه البلاد من وجود مكتبة وطنية بمعنى المصطلح تعنى بالكتاب السعودي وبالكاتب السعودي وبما يكتب عن السعودية/ المملكة العربية السعودية وتجمع التراث العلمي السعودي وتحفظه وتنشره بين الناس.

وقد وفِّقت مكتبة الملك فهد الوطنية إلى طاقة علمية وطنية متخصِّصة مثقفة هي الأستاذ الدكتور يحيى محمود الساعاتي المتخصص في المكتبات الممارس للمهنة منذ مدة طويلة، الرجل الذي يملك ثروة

ثقافية وأدبية ماضية وحاضرة. فهو قبل أن يصبح أستاذاً في التخصص كان يخدم الكتاب في جامعة الملك سعود قبل انتقاله إلى جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية ثم إعارته لإدارة مكتبة الملك فهد الوطنية.

هذا الزميل الذي يمثل أنموذجاً حياً للإدارة والمدير. أخذ من الإدارة ما يتناسب مع مكتبة تشق طريقها بسرعة مذهلة ذلك أنه لم يستسلم للنمط الإداري العقيم الذي يمارسه بعض الناس العقيمون ـ في نظري ـ الذين يرغبون في الاختفاء وراء النظام، كما يرغبون في إخفاء جبنهم وافتقارهم للمبادرة والابتكار وراء لوائح ومواد ونقاط النظام، وكأن النظام إنما وضع ليعقد الأمور وليقف حائلاً دون الانطلاق المدروس.

وأظن ـ جازماً ـ أن انطلاقة الأستاذ يحيى الساعاتي من النوع المدروس فالخبرة العملية التي يتمتع بها والغطاء الأكاديمي الذي تزهو به هذه الخبرة إنما هما عاملان حيويان لدراسة أي خطوة قبل الإقدام عليها. وأظن ـ جازماً ـ أن مدير مكتبة الملك فهد الوطنية قد فرض جواً من العمل والأداء جعل العاملين معه بحيث يخجلون من طلب إجازاتهم «الاعتيادية» أو الاضطرارية، لأنه يتعامل معهم من منطلق الأخ «الكبير» وليس المدير المتسلط، يحترمونه، ولكنهم لا يخافون منه أن يضرهم فلم يتعوَّد ـ كما عرفناه ـ أن يضر أحداً.

وأمام الأستاذ الساعاتي مهمة صعبة، ولكنها أمامه سهلة يتغلب على صعابها الواحدة تلو الأخرى، وكأني به ـ ما شاء الله تبارك الله ـ يقفز الزانات وليس الزانة الواحدة قفزات الواثقين. وهو بهذا يتكىء على طاقة وطنية أخرى لها أياديها البيضاء على عروس المدائن، يتكىء على أبي علي عبد الله العلي النعيم كما يحلو لنا أن ندعوه دائماً دون ألقاب ولا تبجيلات ظاهرة، إلا ما نكنه له في الصدور الذي يترجم عادة بدعاء له ينفعه في دنياه وآخرته، وأبو علي بدوره يتكىء على طاقة وطنية أخرى لها

أياديها البيضاء المشهورة على عروس المدائن وعلى البلاد كلها، يتكىء على جهود الأمير سلمان كما يحلو لنا أن ندعوه دائماً بعيداً أيضاً عن الألقاب والتبجيلات، فإذا اجتمعت هذه الطاقات كلها ونالت المباركة من القيادة العليا خرجت لنا في النهاية أعمال تبقى وتسهم في نهضة هذه البلاد، وهي هنا تسهم في نهضتها الثقافية والعلمية وتحفظ لها تراثها العلمي والثقافي، وتؤكد على تميز هذه البلاد بحيث لا تقتصر رسالتها على حدودها الإقليمية فقط.

ويضاف إلى هذه الطاقات الوطنية العاملة بالمكتبة التي تؤمن بالتميز وتخدمه من مواطنين وزملاء مهنة من البلاد العربية والإسلامية.

وأظن ـ جازماً ـ أن الأستاذ الساعاتي قد وفق أيضاً في اختيار ساعده الأيمن الأستاذ علي السليمان الصوينع الذي عمل مدة طويلة بمكتبة معهد الإدارة العامة النموذجية بعد تأهله في التخصص، وأجزم أن الأستاذ الصوينع من الطاقات الوطنية الفاعلة، فقد عرفته في مكتبة المعهد وأعرفه الآن في مكتبة الملك فهد الوطنية. فهنيئاً للساعاتي بالصوينع وهنيئاً للصوينع بالساعاتي، والمعذرة لهما وللقراء إن كنت قد أخجلت التواضع الذي يتسمان به.

المكتبة البحثية:

والنوع الثاني يتمثل في المكتبة البحثية/ مكتبة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية وهي نموذج فريد للمكتبة البحثية التي تعنى بالثقافة الإسلامية وما يساندها من العلوم، وأجدها كلما زرتها تغص بالباحثين من طلبة الدراسات الجامعية والدراسات العليا وبعض المطالعين من أرباب العلم والثقافة.

ومكتبة المركز غنية بالمواد المطبوعة والمخطوطة وغير المطبوعة

والمخطوطة، وتقدم خدمات جليلة للباحثين على المستوى المحلي والعربي والإسلامي وهي كذلك بقيادة الدكتور الشاب زيد بن عبد المحسن الحسين تتخطى العقبات في سبيل خدمة البحث والباحثين لم تجعل من النظام حجر عثرة في طريقها، بل جعل مديرها العام من المرونة مسلكاً تسير عليه المكتبة والمركز معاً، وهو بهذا يتكىء على الطاقات الوطنية أيضاً من أبناء الفيصل ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ رغبة في أن يتركوا لأبيهم صدقة جارية وعلماً ينتفع به، فإذا انضم إلى هذا أبناء صالحون ـ نحسبهم كذلك ـ يدعون له، تحقق له ـ رحمه الله ـ الثلاثة الباقيات بعد الرحيل.

ورغم أسلوب الأرفف المغلقة الذي دعت إليه الحاجة وطبقته المكتبة إلا أن الباحث يحصل على ما يريد مما هو متوافر في المكتبة بسرعة معقولة ثم يتمكن من الحصول على هذه المعلومات من خلال إمكانات التصوير المتاحة والخدمات القرائية المتوافرة.

وتعمد المكتبة جاهدة إلى عملية التكشيف للدوريات والكتب التي تقتنيها. وهذه العملية توفر كثيراً من الوقت والجهد على الباحث، وبخاصة أن عملية التكشيف تغوص في المحتوى الموضوعي وتحلله وترصد له الكلمات «المصطلحات» الواصفة. كما تعمل على رصد المعلومات في قواعد للمعلومات تخطت الآن الإحدى عشرة قاعدة ترصد فيها معلومات تتعلق بموضوع القاعدة وهذه مسايرة للتطور الحديث في حفظ المعلومات وإتاحتها للمستفيدين.

وتستمر مكتبة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في توخي سبيل تقديم الخدمة وتوفير المادة، فقد وضحت من أهدافها الوصول إلى مليون عنوان ـ كما أشرت في أكثر من وقفة سابقة ـ وأظنها ستتخطى قريباً هذا الرقم، وأجزم أنها لن تتوقف عنده، لأن المكتبات

بعامة لا تملك التوقف عند رقم محدَّد في خضم هذا الزخم الهائل من الإنتاج العلمي والفكري.

وجانب النشر من الجوانب التي يحرص عليها المركز. وقد قام إلى الآن بنشر مجموعة من الكتب التراثية والعلمية الحديثة، وهو بهذا يسهم في حركة النشر الفاعلة التي تزخر بها البلاد، وعلى مستويات النشر العلمي والتجاري على حد سواء. فهنيئاً لأهل الرياض بهذا المركز ومكتبته، وهنيئاً للمركز بإدارته ممثلة في الطاقة الشابة الزميل زيد بن عبد المحسن الحسين ومن يقفون وراءه يدعمونه دعماً عملياً من خلال ما يقومون به من خدمات جليلة للباحثين والدارسين.

المكتبة العامة:

والنوع الثالث يتمثل في المكتبات العامة، وأقف عند نموذج فريد ومتميز من المكتبات العامة، عند مكتبة الملك عبد العزيز العامة التي يرعاها الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني. ويقوم على إدارتها طاقة وطنية أخرى مخلصة ـ أحسبها كذلك ـ الأستاذ فيصل بن عبد الرحمن المعمر، هذا الشاب الذي يعمل بصمت، ولكنه لا يستطيع الصمت، فأعماله تتحدث عنه من خلال انطلاقته بالمكتبة العامة ووصوله بمكتبة الملك عبد العزيز العامة إلى مستوى قياسي في وقت قياسي.

وتضطلع الإدارة العامة للمكتبات بوزارة المعارف بمسؤولية المكتبات العامة على مستوى البلاد، وتشرف إشرافاً مباشراً عن أكثر من ستين مكتبة عامة، ولي مع هذه المكتبات وقفات لاحقة ـ بإذن الله تعالى ـ وبخاصة مع التطورات الجديدة التي تشهدها الوزارة في نظرتها للمكتبة.

إلا أن المكتبة العامة الأنموذج مكتبة الملك عبد العزيز العامة

بالرياض هي أيضاً بتوفيق من الله تعالى ثم بعناية الأستاذ المعمر قد تخطت الصعاب الإدارية، واتخذت من النظم الإدارية السُبل التي تكفل تقديم أفضل خدمة مكتبية للقراء والمستفيدين من العامة رجالاً ونساءً وأطفالاً.

ومن التوفيق إفراد بعض الوقت ـ ولو قليل ـ للأخوات للاطلاع والإفادة، وأعلم الآن أن القسم النسائي بالمكتبة بصدد التوسع بعد أن أثبتت أنه مطلب ملح لا يقل عن حاجة الرجال إلى الاطلاع والإفادة، وأعلم أن هناك طاقات وطنية شابة في القسم النسائي أسهمت بفاعلية في العمل على توسيع المكتبة في الجانب النسائي وتشرف على هذا القسم الزميلة المتخصصة نوره الصالح الناصر تعمل جاهدة على الارتقاء بالخدمات المكتبية للنساء، تؤازرها في هذا زميلات لها لا يقل حماسهن عن حماسها، وهن بهذا يباركن في جهودهن بجهود مدير عام المكتبة الأستاذ فيصل المعمر الذي يقف بحق وراء هذا الإنجاز العلمي التربوي الثقافي الاجتماعي الترفيهي الضخم. وهو بهذا يتكىء على جهود الرجال من المسؤولين في رئاسة الحرس الوطني بقيادة أحد رعاة العلم والثقافة الأمير عبد الله بن عبد العزيز الذي يبارك الجهود ويوجه بالمزيد منها ما دامت المكتبة قد وفقت في الطاقات الشابة التي ترعاها. فهنيئاً لمكتبة الملك عبد العزيز العامة بهذه الطاقات.

هذه النماذج الثلاثة من المكتبات تجتمع في قاسم مشترك بينها ـ في نظري ـ وهو استغلالها للنظام بما يعود على المكتبة بالفائدة على أيدي الطاقات الشابة التي لم تلتفت لحظة للنظام على أنه عائق أمام تكوين مكتبة نموذجية تقدم أفضل خدمة للمستفيدين منها، بل إنها حاولت الابتعاد عن فقرات نظامية ظاهرة العمل على الانضباط، ولكنها فقرات في النهاية تشكل حاجزاً صلباً أمام الطموحات والاندفاع المدروس نحو تحقيق الأهداف.

وأظننا بحاجة إدارية ملحة إلى الجرأة في النظر إلى الأنظمة بحيث لا ننظر إليها على أنها معوقات، أو لا ننظر إليها على أنها دروع نخفي وراءها افتقارنا للجرأة المحببة المطلوبة، كما نخفي وراءها جبناً في مواجهة النظام. وهذا كلام عام لا تلميح فيه ولا تلويح، ولكنه بصدق يلقي باللائمة على بعض النماذج التي تنظر إلى مناصبها على أنها مجرد وظيفة محددة بوقت للدخول وآخر للخروج دون إحساس بالمسؤولية التي تتخطى مجرد النظرة الوظيفية للمناصب.

وأمثال هذه الطاقات الشابة في المكتبات النوعية الثلاث كثيرون، ويحسن بنا دائماً أن نقول للمحسن أحسنت، وقد أحسن مدراء المكتبات النوعية الثلاث، ومن حقهم علينا أن نقول لهم أحسنتم، وكان الله في عون الجميع.

obeikandl.com

أفكار حول المكتبة الوطنية!

المكتبات الوطنية في بلاد العالم كلها ذات مهمات تتعدى توفير المادة العلمية للقارىء والمستفيد، إذ إن هذه المهمة وحدها منوطة بمكتبات أخرى كالعامة والجامعية والمدرسية والمتخصصة، ولكن مهمة المكتبة الوطنية الرئيسية هي رعاية الكتاب رعاية خاصة من جهة ضمان توافره فيها ومن جهة ضمان شرعية تأليفه وما يترتب على هذا من حقوق وواجبات لصاحب الحق في الكتاب والمادة العلمية. وقد اعتادت المكتبات الوطنية أن «تجبر» دور النشر والمؤلفين على تزويدها بنسخ معروف عددها سلفاً مما يطبع، كما استطاعت كثير من المكتبات الوطنية أن تحصل على معلومات مسبقة عن المؤلَّف قبل أن يطبع وذلك لتبدأ في تنفيذ حصرها للكتاب منذ أن تمنحه رقماً لإيداعه بهذه المكتبة أو الدار. سلطتها هذه تؤمن لصاحب الكتاب كتابه من أن ينتحل (أي يدعيه غيره بمجرد مسح اسم المؤلف الحق ووضع اسم آخر قصداً إلى الشهرة أو التجارة).

وتؤمن للقارىء الكتاب من أن يعمد صاحبه ويغيّر في عنوانه ويضيف عليه فصلاً أو بعضاً من فصل ليظهره كتاباً جديداً يأخذ رقماً في عدد ما ألّفه هذا الشخص. وقد حصل هذا الأسلوب في أكثر من موقف

لم يكن للمكتبة الوطنية عليه سلطة تمنعه من اتباع هذا الأسلوب. كما أن المكتبة الوطنية تؤمن لصاحب الكتاب كتابه من أن تؤخذ منه فقرة أو فقرات دون إذن مسبق من صاحب الحق المباشر، أو دون إشارة إلى المصدر الذي أخذ منه الاقتباس.

والمكتبة الوطنية تؤمن لصاحب الكتاب كتابه من أن يعمد أحد، إلى تصويره بأي أسلوب من أساليب التصوير الحديثة ثم يبيعه بثمن أقل أو أكثر أو مساوٍ لثمنه الذي باعه فيه صاحبه من مؤلف أو ناشر. فتقف المكتبة الوطنية من هذا موقفاً واضحاً وصريحاً من خلال نظام وضعته المكتبة ونصّت فيه على العقوبات التي ينالها من يتصرف مثل هذا التصرف.

ولأن المكتبة الوطنية يردها ما يُزمع طبعه ليأخذ نصيبه من الحقوق فإن المكتبة هذه تعلم مسبقاً ما يمكن أن يصدر من كتب إلى فترة معروفة قد تصل إلى السنة، خاصة أنه يطلب من الذين يتقدمون بمؤلفات جديدة أو إعادة طبعات أن يعطوا تاريخاً ـ ولو تقريبياً ـ عن صدور هذا المؤلف. وهذا يتيح للمكتبة الوطنية أن تصدر النشرات الدورية حول الكتب المنتظر طباعتها خلال الفترة القادمة ـ ربما كانت الفترة ثلاثة أشهر على الأقل ـ وهذا الأسلوب لا يقتصر فيه على الاطلاع على ما سيصدر قريباً، بل إنه يعين في القضاء على فكرة تكرار الكتابة حول موضوع واحد يحصل أحياناً أن يكتب عنه اثنان لا يضيف أحدهما إلى الآخر جديداً.

وفكرة الحد من التكرار لا تقتصر على ما يتوقع طبعه في فترة لاحقة، بل ربما عملت المكتبة الوطنية على الحد من هذه الظاهرة عندما يكون لديها رصيد من المؤلفات الوطنية والعربية والعالمية جمعتها في قاعدة معلومات عريضة ترجع إليها عندما يصلها كتاب جديد يراد طبعه، فإن وجدت له في القاعدة شبيهاً نبهت المؤلف إلى عدم إمكانية طباعته

حتى يثبت أنه يقدم عرضاً يختلف عن سابقه فيسمح بطبعه. هذه الخطوة تأتي متأخرة بعد الانتهاء من عناء التأليف، ولا تلام في ذلك المكتبة الوطنية، إذ المسؤولية تقع على المؤلف نفسه في التأكد من أن الباب الذي يطرقه الآن لم يكن قد طرق من قبل بذات الأسلوب والعرض والتحليل والنتائج. فإن أغفل المؤلف هذه الناحية ووصل ما كتبه إلى المكتبة الوطنية أضحى لها الحق في رده. ومن المؤكد أن هذا الأسلوب لا يقتصر فقط على النظر إلى مطابقة العنوان اللاحق السابق، ولكنه يتعدى ذلك إلى النظر إلى المستخلصات التي تأتي مع كل عنوان تبين مضمون الكتاب بإيجاز.

وقد لا تستطيع المكتبة الوطنية تطبيق هذا الأسلوب في «التوجيه الثقافي أو العلمي» على ما يصدر من مقالات في دوريات، لأن الدورية لا ينتظر منها أن تصل إلى المكتبة الوطنية قبل طباعتها لتأخذ رقماً، بل إن الدورية تعطى هذا الرقم منذ تسجيلها في المكتبة الوطنية ليستمر معها هذا الرقم الذي تضاف إليه الأعداد أو المجلدات أو السنوات لتميز مجلداً عن آخر. وتقع تبعية الحد من تكرار المقالات هذه على ناشري الدوريات، وليس للمكتبة الوطنية دور في هذا الوقت الراهن على الأقل.

والمكتبة الوطنية محام ومدافع وحام للمؤلف أو صاحب الحق في الكتاب، فما عليه إذا ما رأى مخالفة ضده إلاّ أن يرفع بمذكرة إلى قسم خاص بالمكتبة الوطنية ليترك الأمر لهذا القسم الذي سوف يزوده بمجريات الأمور أولاً بأول وسيحاول أن يقنعه بالنتائج ولو جاءت في غير صالحه. إلاّ أن المكتبة تحفظ لصاحب الحق اعتباره وتغنيه عن الملاحقة الفردية وعن الشعور بالإحباط عندما يستولي البعض على نتاجه الفكري بدراهم معدودة يحصل بها على الكتاب فيُعمل فيه بعد ذلك إعماله!

وإذا لم تملك المكتبة الوطنية هذا الأسلوب في الحفاظ على

الحقوق أصبحت مهمتها أدبية فقط. ولا يتوقع من أية مكتبة وطنية ألاّ تكون لديها سلطة نظامية مدعومة من قبل الدولة تمارس من خلالها مهمتها ممارسة فعلية مع اتباع الأساليب التي تأتي بإقناع الآخرين باحترام دورها دون اللجوء إلى نظام العقاب المادي.

المكتبات الوطنية:

لا يحضرني أن هناك في بلد ما أكثر من مكتبة وطنية مركزية واحدة تكون لها عدة أقسام حسب نشاط التأليف في البلد الذي تخدمه هذه المكتبة. فيكون هناك المكتبة الوطنية الطبية والصحية، والمكتبة الوطنية الزراعية والمكتبة الوطنية التقنية والمكتبة الوطنية للعلوم الشرعية، والمكتبة الوطنية للآداب والعلوم الاجتماعية. وهذه تفريعات قد لا تكون موجودة، إذ إن المكتبة الوطنية تغطيها جميعاً، والتفريع هذا يعين فقط على الموضوعية وسرعة الوصول إلى الحقول التي تخدمها المكتبة.

ولكن المكتبة الوطنية في بلد ما تتعاون وتنسق مع المكتبات الوطنية الأخرى في تنفيذ مهماتها، وكلما اتسعت رقعة التعاون والتنسيق عم الاستقرار الفكري في المنطقة التي يغطيها هذا التعاون والتنسيق. فإذا قام تنسيق وتعاون بين المكتبات الوطنية بمنطقة الخليج العربية كانت النتائج أعرض، أما إذا قام تنسيق وتعاون بين المكتبات الوطنية في الدول الإسلامية فإن النتائج ستشمل رقعة كبيرة جداً.

وهذه خطوات كلما اتسعت زادت شقة لقائها في واقع اليوم. وهي فكرة قد تكون سابقة لأوانها. إذ ينتظر الكثيرون أن تقتصر المكتبات الوطنية على الخدمة المحلية أولاً، حتى إذا وقفت على قدميها بدأت في الامتداد الأفقي، والوقوف على القدمين هنا يعني تقديم الامتداد الرأسي أولاً، عندها تبدأ فكرة الانطلاق إلى المكتبات الوطنية الأخرى التي تنظم جميعها في شبكة عمل مشترك تتبادل من خلالها المعلومات الفورية من

خلال استخدام الأجهزة الآلية الحديثة. إلاّ أن منطقة الخليج العربية مؤهلة اليوم إلى أن تبدأ مثل هذا التنسيق والتعاون، وذلك نظراً لما تقوم به هذه المنطقة من تنفيذ أساليب كثيرة من نواحي التعاون فيما بينها، وهذا يجعلها قريبة جداً إلى أن تخطو خطوة ثقافية تعاونية مشتركة تثير فيها فكرة التنسيق والتعاون بين مكتباتها الوطنية لتكون هذه الخطوة منطلقاً لمحاولة إنشاء «مكتبة خليجية تعاونية خليجية مشتركة» في مستقبل الأيام.

وبعد، فهذه زوايا ضيقة من زوايا متعددة تقوم المكتبة الوطنية في كل بلد بالاهتمام بها، آثرت الحديث عنها هنا آملاً التوسع في زوايا أخرى تعرضت لها مقالات رئيس التحرير الأستاذ محمد بن ناصر بن عباس حينما تحدث عن مكتبة الملك فهد في العدد (٤٧٦٩) الصادر يوم السبت ٥/٢/١٤٠٦ هـ. وأرجو ألا يعتقد بأن الوقت قد فات، إذ لا تزال النقاط التي أثارها رئيس التحرير الأستاذ ابن عباس في مقالته تلك قائمة، وستظل قائمة تحتاج إلى من يتوقف عندها وقفات طويلة تعطيها حقها من العناية. وإذا كان هذا العرض قد جاء غير مباشر فإنه يفهم منه أن المكتبة الوطنية في المملكة العربية السعودية تنظر إلى هذه الزوايا نظرة تعتبرها من صميم مهماتها التي تزمع القيام بها حالما تنتهي من وضع الخطوط العريضة لها بعد أن تستعين بذوي المعرفة من المتخصصين في المكتبات عموماً والمتخصصين في المكتبات الوطنية بخاصة، وليس أجدر من مكتبة الملك فهد للاضطلاع بمهماتها. كما يتوقع لهذه المكتبة ـ إن شاء الله ـ تأثير واضح على المسيرة الفكرية والثقافية التي تعيشها المملكة العربية السعودية والمنطقة العربية بعامة من حيث تطوير المفاهيم المكتبية، وتنشيط الأعمال الثقافية والعلمية. وهذه تطلعات ستحقق مستقبلاً بإذن الله. وكان الله في عون الجميع.

الجزيرة ـ السبت ٢٤ شعبان ١٤٠٦ هـ

ـ ٣ مايو ١٩٨٦ م ـ العدد ٤٩٦٥

مكتبة الملك فهد... وهذه الطموحات

في الدعوة التي وجهها سمو الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض ورئيس الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض إلى الوزارات والهيئات والمؤسسات الحكومية لتزويد مكتبة الملك فهد بالمطبوعات والمنشورات والتقارير والإحصاءات التي تصدر عنها، في هذه الدعوة ما يوحي بأن مكتبة الملك فهد من حيث كونها صرحاً ثقافياً وحضارياً توشك أن تفتح أبوابها للباحث والدارس والمطالع على حد سواء. وفي هذه الدعوة تأكيد على أن تضم مجموعة المكتبة ما ينشر داخل المملكة وما ينشر لأبناء المملكة خارجها. وهذا الأسلوب في جمع هذه المواد العلمية الرسمية وغيرها مما يوحي أيضاً بما سبق وأن أشرت إليه من أن المكتبة ربما حذت حذو المكتبات الوطنية بدلاً من الاقتصار على كونها مكتبة عامة مثلها مثل غيرها من المكتبات العامة المنتشرة في البلاد.

والحق أن كون مكتبة الملك فهد مكتبة عامة فقط لا ينقص ذلك بأي حال من الأحوال من كونها صرحاً علمياً وحضارياً وثقافياً يقف مع بقية الصروح لينقل المواطن السعودي إلى مرحلة تتطلعها فيه خطط التنمية الأخيرة التي ركزت على تنمية هذا المواطن ليحل محل زملائه من أبناء البلاد العربية والإسلامية والعالمية بعد أن أدوا خدماتهم التي لا تنكر لهذه البلاد.

قدَ لا يتمثل هذا الهدف واضحاً ومباشراً من خلال مكتبة واحدة في مدينة واحدة، ولكن الواقع الذي تعيشه هذه البلاد يوحي بأن هناك أكثر من مكتبة تنحو منحى مكتبة الملك فهد من حيث فكرة الإنشاء وفكرة المجموعات وفكرة الخدمات ومن هنا يأتي بناء المواطن، إذ لا يقتصر البناء على التحصيل العلمي والفني والمهني بعيداً عن التحصيل الثقافي والحضاري بحيث يرتبط المواطن بتراثه وإنجازات من سبقوه بما يتطلبه الوقت الراهن من انطلاقة حضارية يتمثل فيها شرطا الحضارية الرئيسيان. . الإطعام من الجوع والأمن من الخوف. . وهما متوافران في بلادنا للمواطن السعودي مع أسباب تمثلها من المؤسسات الحضارية والثقافية التي لا تغفل ربط الحاضر بالماضي ولا تنسى منطلقات هذه الأمة التي بدأت منها، وخطها الذي سارت وتسير عليه.

مجموعات القطاع الخاص:

ولعلي أضيف إلى مجموعات مكتبة الملك فهد ما يصدر عن القطاع الخاص من إنتاج علمي وفكري وثقافي. فالمصانع التي تحتل اليوم جزءًا من اقتصاد البلاد تصدر النشرات والكتب السنوية والكتب الإحصائية والأدلة وغيرها مما يغلب عليه العلمية. ومثل ما يقال عن المصانع يقال عن المؤسسات التجارية والزراعية والصحية وغيرها من مؤسسات القطاع الخاص.

الإهداء من المواطنين:

ومورد آخر من وسائل تزويد مكتبة الملك فهد يمكن أن يأتي عن طريق المواطن نفسه ويمكن أن يكون دور المواطن في هذا المجال على منحيين:

المنحى الأول هو أن يهدي المثقفون مكتباتهم إلى مكتبة الملك

فهد، ودْلكم بعد أن يشعروا أن استفادتهم من مكتباتهم الخاصة أصبحت ـ أو ستصبح ـ عديمة الجدوى، إما لعجز أو وفاة أو نحوهما. . ونحن هنا نؤكد على أن هذا الجانب وارد ولا محالة فمن الخير للأمة وللكتاب أن يقع في أيد أمينة تخدمه ويخدمها بدلاً من أن تضيع مكتبة كاملة غنية بالمجموعات وتكون نهباً لمن لا يقدر للكتاب قيمته. . مع الدعوة للمفكرين والمثقفين بطول العمر.

ويدخل في هذا المنحى أن يعمد كل مواطن لديه مكتبة فيخرج منها المكررات والمجموعات التي لا يرى أنها تناسب ميوله الثقافية التخصصية فيقوم بإهدائها للمكتبة. وأذكركم هنا بمجموعات من الكتب تأتي للأشخاص المفكرين والمثقفين عن طريق الإهداء تقديراً لجهودهم. ولا يشترط منهم أو عليهم أن يقرأوا كل ما يهدى إليهم.

الإهداء من الجامعات:

والجامعات السعودية والكليات والمؤسسات التعليمية الأخرى المنتشرة في البلاد لا تستغني عن المكتبة. فتجد لكل جامعة مكتبتها المركزية ومكتبات الكليات والمعاهد العليا. وهذه المكتبات تغص بالمجموعات العلمية التي تخدم المناهج وتخدم الثقافة عموماً ولعل مكتبة الملك فهد لا تستغني عن دعم هذه المكتبات سواء بالمادة العلمية من كتب ومطبوعات خاصة بالجامعة أو كتب أخرى مما تقدمه المكتبات لطلابها والقصد من ذلك ربط الطالب بالمكتبة ولو لم تكن مكتبته المركزية.

والدعم من الجامعات لمكتبة الملك فهد يتعدى المادة العلمية إلى إمدادها بالخبرة الوطنية التي تتوافر اليوم بفضل من الله في كل الجامعات. . وقد علمت أنه سيشرف على المكتبة أحد المتخصصين من

أبناء هذا البلد ومن مثقفيها الذين جمعوا بين حب الكتاب وخدمة الكتاب في آن واحد. ولعله يوفق في «استقطاب» مجموعة غير يسيرة من الفنيين والخبراء يعينونه على القيام بما أنيط به من مهمات. ويذكر هنا للجامعة التي أعارته إسهامها في هذا المجال بما تكلفت به من الجوانب المادية المتعلقة بهذا الأسلوب من الإشراف على المكتبة.

مركز المعلومات..

ومكتبة الملك فهد ستحاول أن تستعمل الآلية في إجراءاتها الفنية، بحيث تكون الفهرسة والتصنيف والإعارة وربما خدمة المراجع تدار عن طريق الحاسب الآلي. وفي هذا الشأن أود أن أذكر بالاقتراح الذي قدمته قريباً من خلال يوميات الجزيرة حول مركز معلومات الرياض، وجعلت من أمانة مدينة الرياض المكان المناسب له. وهنا لا بد من النظر إلى مكتبة الملك فهد على أنها ستساهم في قيام المركز المذكور من خلال تركيزها في جزء من معلوماتها عن منطقة الرياض عموماً ومدينة الرياض بشكل خاص، بحيث تجمع في هذا الجزء من مجموعاتها الدراسات والبحوث التي كتبت عن الرياض وهي غير قليلة، سواء كانت هذه البحوث مستقلة كالدراسات الجغرافية والاجتماعية والتاريخية وغيرها أو كانت ضمن كتابات شاملة عن المملكة العربية السعودية وتتحدث عن الرياض بشكل منفرد بفصل أو فصلين من هذه الكتابات.

مكتبة شاملة..

وفي إهابة سمو الأمير سلمان بالوزارات والإدارات والأقسام والفروع التابعة لها بتزويد مكتبة الملك فهد بجميع ما ينشر من قبلها من المطبوعات ما يوحي بأن مكتبة الملك فهد ستكون مكتبة شاملة. وهي تسمية جديدة لم يسبق أن ترددت لدى المتخصصين في المكتبات. إذ

يتوقع أن تكون وظائف هذه المكتبة أكثر من وظيفة المكتبة العامة والمكتبة الجامعية والمكتبة المتخصصة لأنها ـ كما ورد في إهابة سمو الأمير سلمان ـ ستلبي حاجة كل قارىء سواء في ذلك الطالب (جامعية) والموظف (عامة أو متخصصة) والباحث (مكتبة بحث) والطبيب (مكتبة متخصصة) وغيرهم من المتخصصين. وهي وإن لم تتمثل فيها كل وظائف المكتبات المذكورة إلا أنها ستسعى إلى تحقيق بعض من هذه الوظائف.

ومن أوجه شمولها أنها ستخدم الطفل والمعاق من خلال مجموعات خاصة بهم، ومن خلال البناء الذي صمم خصيصاً ليكون مكتبة. وهناك شموليات أخرى كثيرة يتوقع لهذه المكتبة أن تغطي الكثير منها.

وبعيداً عن المثالية لا بد من التأكيد على أن كل هذه التطلعات لن تحقق في فترة زمنية قريبة أو متقاربة، ويكفي هنا أن سياسة المكتبة تتطلب مثل هذه الشمولية وتسعى إلى تحقيقها من خلال الخبرة والدعم والتشجيع والاستخدام الذي سيشجع بدوره على التوسع في الشمولية. وهو الذي سيحدد مدى الطموح الذي ستنطلق إليه المكتبة، إذ هو المعيار الموضوعي لمثل هذه الانطلاقة الثقافية والحضارية والمتمثلة بمكتبة الملك فهد. وكان الله في عون الجميع.

الجزيرة ـ السبت ١٧ شوال ١٤٠٧ هـ
١٣ يونيو ١٩٨٧ م ـ العدد ٥٣٧١

التراث المخطوط
في مكتبة الملك عبد العزيز العامة

لا يزال تراث العرب والمسلمين (وهو واحد) يعاني من نقص الخدمة وتقصير في الاهتمام، وذلكم بسبب من ضخامة الإنتاج في هذا المجال، حاول المستشرقون ونجحوا في خدمة التراث من وجهة نظر استشراقية لها دوافعها وأهدافها وهم لا يزالون يحاولون. وحاول العرب خدمة تراثهم أخيراً بالاهتمام بالمخطوط العربي من خلال الهيئات العلمية التي جعلت من مهماتها الاهتمام بهذا الكنز الفكري، ويبذل معهد المخطوطات في الكويت المنبثق عن جامعة الدول العربية جهوداً مشكورة في هذا المجال.

وإذا كان العرب والمسلمون يفهمون الغرض من اهتمام المستشرقين بالتراث لتحقيق أهدافهم المرسومة، فإن الغريب هنا حقاً أن ينبري من أبناء العرب والمسلمين من يقف وقفة سلبية وحادة ضد التراث بعمومه.. وعجيب حقاً أن يوصم هذا التراث من قبل هذا الاتجاه بالجمود. والغريب حقاً أن يكون الاهتمام «بالكتب التاريخية» مسبة وشتيمة من قبل هؤلاء.

أقول هذا وأنا أسمع من رجل مهتم بالتراث كل الاهتمام يبطل نظريات غربية حول خدمة العلوم نسبت إلى علماء غربيين قدماء

ومعاصرين ويثبت من خلال اكتشافات علمية سبق العرب والمسلمين لهذه النظريات والإنجازات، وكنت مع الأستاذ فؤاد سزكين قبل يومين عندما عرض على مجموعة من الحاضرين خريطة كان يحملها معه نسبها علماء الغرب إلى بطليموس، وأثبت هذا العالم أن بطليموس لم يكن يستطيع رسم الخرائط وأن راهباً (سرق) خريطة رسمت للخليفة المأمون بين القرنين الثاني والثالث الهجريين ونسبها إلى بطليموس. وتصل الغربة قمتها حينما نعلم أن الأستاذ سزكين صاحب كتاب (تاريخ التراث العربي) يعيش ويعمل في أوروبا بين المستشرقين أنفسهم يناظرهم ويجادلهم ويرد عليهم بلغاتهم المتعددة من خلال اكتشافاته المتعددة والمستمرة.

وإزاء نوع من الاتجاه الفكري الحديث لدى قلة من العرب وفي بعض البلدان الإسلامية مع الأسف الشديد القائم على (نبذ) كل ما هو قديم دون استثناء يحق للمرء أن ينادي بأن تراث المسلمين في خطر من أبنائه أكثر من الخطر عليه من غير أبنائه، مما يثير شيئاً من الحيرة عند تلكم الفئة التي تتحمس لخدمة التراث حماساً ولكنها لا تملك مقوماته، إذ إن الحديث عن المستشرقين لا يفتأ يحمل النبرات السلبية تجاههم فإذا تحول المرء عنهم وجد من أبناء أمته من يقول بأن عهد الاهتمام بالتراث قد ولى ومن غير رجعة. وآمل هنا ألا يتساهل البعض في النظر إلى هذا الاتجاه فهو اتجاه خطير ستكون له نتائج غير محمودة العواقب إن أتيح له أن يستشري ويشيع في بعض بلادنا العربية والإسلامية.

الجامعات العربية:

هذا من جانب النظرة العامة للتراث، ومن جانب الجامعات العربية، وهي مؤسسات علمية وتعليمية في آن واحد وينتظر منها أن تسهم في خدمة التراث بتجميع المخطوطات أولاً ثم السعي إلى نشرها أو

تحقيقها قبل نشرها، هذه الجامعات بمكتباتها المركزية والفرعية قد تتجه في ظل الظروف الاقتصادية الراهنة إلى النظر إلى الدعوات التخصصية التي تقول إن على الجامعة أن تخدم مناهجها التي تقدمها لطلابها وتركز على هذه الخدمة في مجموعات مكتباتها وتبتعد عن كل ما من شأنه أن يؤثر على خدمة المناهج. . وأول ضحية لهذا الاتجاه التخصصي إذا ما ترسخ أن تبطل أو تتعطل أو تتعثر خدمة التراث من قبل مكتبات الجامعات العربية، وخاصة منها ما يعتقد لها أنها بعيدة عن التركيز على دراسة التراث، وخاصة أيضاً أن المسؤولين عن المكتبات الجامعية سيكونون من المتخصصيين في مجالات المكتبات والمعلومات ممن درسوا قواعد بناء المجموعات في المكتبات عموماً وفي المكتبات الجامعية بخاصة.

وأخشى أن يصل الأمر في يوم من الأيام بهذه المكتبات إلى أن تدعو إلى مزاد علني على مجموعات من محتويات مكتباتها (لا تخدم مناهج الجامعة) ويكون ضمن تلكم مجموعة غير يسيرة من مخطوطات التراث تباع على من يستحق ومن لا يستحق اقتناء مثل هذه الكنوز العلمية.

المؤسسات العلمية الأهلية:

وليس الوضع كله هنا يدعو إلى التشاؤم، وإن بدا في نبرات هذا الحديث شيء من ذلكم. . ولكن مع هذا كله نجد أن النهضة العلمية لا تزال تسير من حسن إلى أحسن وذلك على المستويين العربي والإسلامي بخاصة، فهنالكم مؤسسات علمية أهلية لا تفتأ تبرز في المجتمع العربي في المشرق والمغرب على السواء. وقد شهدت الرياض أخيراً افتتاح مكتبة الملك عبد العزيز العامة التي أُنشئت على نفقة صاحب السمو

الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني وأحد رعاة العلم والعلماء في هذه البلاد، وفي الافتتاح لوحظ إصرار سموه على تنمية المجموعة والاهتمام بكتب التراث بعامة والمخطوطات بخاصة.

وقبل ذلك بدأت مكتبة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية خدماتها العامة للقراء ولديها اهتمام واضح بالمخطوطات العربية اقتناءً وخدمات وتحقيقاً ونشراً.

ومثل هذه المؤسسات المجمعات الثقافية التي بدأت تنتشر في المدن الرئيسية في البلاد وتبني في مجمعها مكتبات قوية من حيث محتوياتها. وفي مثل هذه الجهود ـ متضافرة ـ خدمة لتراث المسلمين لا يأتي ثانوياً من حيث اهتمامات المكتبة، بل هو اهتمام مباشر ورئيسي. والدعوة هنا صادقة أن تركز هذه المؤسسات على هذا الجانب أكثر من تركيزها على جوانب تركز عليها المكتبات الجامعية والوطنية ومكتبات المراكز العلمية والتقنية مثل مكتبة مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية. وكل هذه الخدمات لا تعني الازدواجية في خدمة التراث. لا تعصباً أعمى للتراث ولكن لأن الخدمة واحدة والمخدوم مختلف، فما تخدمه مكتبة الملك عبد العزيز العامة تستفيد منه مكتبة مركز الملك فيصل وتستفيد منه كل المؤسسات التعليمية والعلمية. وما تخدمه مكتبة مركز الملك فيصل تستفيد منه مكتبة الملك عبد العزيز العامة وتستفيد منه كل المؤسسات التعليمية والعلمية. فلا ازدواجية هنا على الإطلاق. وخدمة التراث اليوم وفي ظل التحديات الفكرية أصبح مطلباً من مطالب الأمة لا يقل عن حجم المطالب التي تعمل على التصدي للغزو الفكري الصهيوني والاستعماري الذي يهدد الأمة في أعز ما تملك، ويهددها في حقيقة وجودها واستمرارها.

ولعل من الأولى اليوم مع كثرة المكتبات عدم التركيز على المطبوعات الموجودة في مكتبات المملكة بقدر التركيز على المخطوط غير الموجود في مكتبات المملكة، فالمطبوع قابل للاقتناء والمخطوط صعب المنال، وعلى أي حال هناك دلائل كثيرة تؤيد ما أريد أن أصل إليه، ولكنه التذكير الذي ينفع المؤمنين. وإن المرء ليشعر بشيء من الامتعاض والاستياء عندما يزور المعاهد الاستشراقية في أوروبا وأمريكا واليابان فيجد فرق العمل التي تتولى العناية بمخطوط واحد مترهل يكاد ورقه يذوب فلا يلبث أن يخرج بثوب (قشيب) وورق حديث منقولاً من نسخته الأصلية دون أن يعتريه أي خلل. هذا الامتعاض والاستياء ناتج عن أن من يخدمون هذا المخطوط لا ينتمون إليه فكرياً، ولكنه امتعاض مصحوب بشيء من الارتياح الذي يمليه الشعور بأن هذا التراث لم يذهب ـ على الأقل ـ أدراج الرياح..

وهذا الشعور أيضاً يفرض على العرب والمسلمين التوجه المكثف للإسهام في خدمة تراثهم، والأمل معقود ـ بعد الله ـ على تلكم المكتبات ودور العلم أمثال مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض، ومكتبة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، ومكتبة الملك فهد التي ننتظر ولادتها بفارغ الصبر، ومكتبة جمعية إحياء التراث بالكويت، ومعهد تاريخ التراث العربي بحلب، ومؤسسة الملك عبد العزيز الإسلامية للدراسات الإنسانية والاجتماعية بالمغرب، وجامعة الزيتونة بتونس وغيرها كثير من المؤسسات العلمية التي لا تزال تنتشر معلنة مواصلة الحملة على الجهل والجهالة بكل أصنافها.. فكان الله في عونها وكان الله في عون الجميع.

الجزيرة ـ السبت ٢٤ رجب ١٤٠٨ هـ

١٢ مارس ١٩٨٨ م ـ العدد ٥٦٤٤

المكتبات المدرسية..!!

يبدو أن هناك تحولاً جذرياً في النظرة إلى المكتبات المدرسية. وهناك مجموعة من العوامل التي تؤيد هذا الإطلاق، فالملحوظ أن وزارة المعارف وهي المعنية بالمكتبات المدرسية والعامة قد فتحت المجال لخريجي أقسام المكتبات والمعلومات لينخرطوا في السلم التعليمي بعد أن تجري أقسام المكتبات والمعلومات بجامعة المملكة تعديلاً طفيفاً على خططها بحيث تدرج مزيداً من المواد التربوية التي يطلبها ديوان الخدمة المدنية من مجموع الطلبات المتوقعة ممن يرغبون في الانضمام إلى حقل التدريس.

وقد تم اختيار أحد «الأكاديميين» ليقود الإدارة العامة للمكتبات بوزارة المعارف، وأظن أن هذه خطوة عملية تربوية في سبيل النهوض بالمكتبات المدرسية أولاً، وبالمكتبات العامة التي تزيد على الستين مكتبة عامة، وينتظر منها أن تزيد على الستمائة مكتبة عامة.

ولقد تشرف قسم المكتبات والمعلومات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض باستضافة سعادة الدكتور حمد الصليفيح مدير عام المكتبات بوزارة المعارف في زيارة رسمية جرى فيها حديث لم يخل من الصراحة حول وضع المكتبات المدرسية بخاصة، والمكتبات العامة

تبعاً لذلك. وتبين للمهتمين من هذه الزيارة أن الإدارة العامة للمكتبات تشهد الآن نشاطاً جيداً في مجال التطوير بوضع الخطط والدراسات والتصورات فيما يتعلق بالمجموعات الصالحة لفئات التلاميذ، وفيما يتعلق بالخدمات المكتبية لهذه الفئات.

ونحن في المكتبات المدرسية أمام ثلاث فئات من التلاميذ؛ تلاميذ المرحلة الابتدائية، وتلاميذ المرحلة المتوسطة، وتلاميذ المرحلة الثانوية، ولكل مرحلة من المراحل الثلاث ما يناسبها ويناسب أعمارها الزمنية والعقلية من المجموعات والخدمات.

وتزيد المدارس في بلادنا للأولاد والبنات على سبعة عشر ألف مدرسة في المراحل الثلاث، وهذه تحتاج إلى سبع عشرة ألف مكتبة، وتحتاج كل مكتبة على الأقل إلى أمين مكتبة واحد. وهناك مدارس كبيرة حكومية وأهلية تحتاج إلى فريق عمل من المتخصصين في مجال المكتبات والمعلومات وإذا شعر أمين المكتبة المتخصص أنه يسير نداً لزميله المدرس وأنه قد يقوم بالتدريس في مجالات قريبة من تخصصه انعكس هذا على أدائه وخدمته لمكتبته المدرسية التي يعمل بها.

ومما يؤيد هذا ما قامت به وزارة المعارف من وضع مادة منهجية في المدارس الثانوية هي مادة المكتبة والبحث تعد التلميذ إلى المرحلة الجامعية، مرحلة التكثيف من استخدام المكتبة ومن إعداد الأبحاث. وأظن أن الطلبة الذين سيتخرجون من المرحلة الثانوية وقد درسوا مادة المكتبة والبحث سيكونون أوفر حظاً من زملائهم الذين سبقوهم ولم يدرسوا مادة المكتبة والبحث.

وتقرير مادة المكتبة والبحث في المدارس مؤشر آخر من المؤشرات التي تؤكد على عزم الوزارة على التحوّل الجذري في النظرة إلى المكتبات المدرسية. وأقول النظرة إلى المكتبات المدرسية. إذ إن إدارة المكتبات

في وزارة المعارف لها جهود في تنمية المجموعات في المكتبات المدرسية والعامة ليست بالصورة التي تتناسب مع ما وصلت إليه البلاد من مجالات تنموية مختلفة.

ومما يؤيد هذه النظرة الجديدة أيضاً أن الوزارة ستعمل على اختيار بديل سريع لسد العجز في خدمة المكتبة المدرسية من المتخصصين، وذلك بتكليف بعض المدرسين بدورات في مجال خدمة الكتاب والقارىء، بحيث يكون المدرس مهيأً للتعامل الفني والتقني مع المكتبة المدرسية التي أضحت اليوم تستند على التقنية في الإفادة من مجموعاتها، حتى أصبح بعض المتخصصين لا يسميها المكتبة المدرسية بل تسمى مركز الوسائل، وتدخل من ضمن الوسائل الكتب والمجلات وغيرها من أوعية المعلومات المطبوعة.

ومن المؤشرات الواضحة أيضاً أن يسند الإشراف على الإدارة العامة للمكتبات بوزارة المعارف إلى شخص تربوي أكاديمي يدرك أهمية الكتاب في حياة الإنسان. ومن المؤسف أن مثل هذه الوقفة مع الرجل التربوي الأكاديمي قد يفهم منها التعريض أو التلميح أو الغمز من بعيد لأولئك الذين تولوا الإشراف على الإدارة العامة للمكتبات، وهذا أمر غير مقصود، وليس هو فكرة يمكن أن تتضمنها هذه الوقفة. ولكن الدعوة دائماً تتكرر في وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، وأظن أن سعادة الزميل الدكتور حمد الصليفيح قد تحمَّل مسؤولية تربوية كبيرة بشغله هذا العمل، لأن تأثير الكتاب لا يقل عن تأثير المدرِّس في حياة الناشئة، لذا ينبغي أن يكون للكتاب مكانه في هذه الحياة التكوينية لشخصية الأمة. والمعلوم أنه ليس كل كتاب يمكن أن يوضع بين يدي القارىء بعامة، وبين يدي القراء الصغار بخاصة. فكما أن للكتاب تأثيره في تكوين الشخصية الصالحة فله خطورته في الإسهام في انحراف الأمة

كلها عن الطريق والجادة الصحيحة، ومن هنا تأتي حساسية الإدارة العامة للمكتبات المدرسية والعامة بوزارة المعارف وحساسية الإشراف على هذه الإدارة.

وفي المدارس الابتدائية بخاصة حصص للنشاط سوف تستثمر في المكتبة، ولو قسط منها، إذا ما ظهرت المكتبة بالمظهر الذي يليق بمدرسة ابتدائية في هذا الزمان وفي هذا المكان. وستقوم أسرة المكتبة بأثر فاعل في توعية التلاميذ إلى أهمية الكتاب في حياتهم، وستتخذ لهذا وسائل وأساليب ندركها نحن في تخصص المكتبات والمعلومات، وتكون صورها مبسطة بما يتناسب مع العقلية الموجهة إليها مثل قوائم الإضافات أو عروض للكتب أو مسابقات في تلخيص كتب تقرأ، أو في معرفة مؤلفي بعض الكتب المهمة في المكتبة وغيرها من الوسائل كثير.

ولا أرى أن تتحول هذه الوقفة إلى وضع تصور أو رسم خطة أو إملاء نقاط على الآخرين، فهم بها أولى وأعلم وهم فرسانها، والمقصود الأول من هذه الوقفة هو الترحيب الشديد بهذه النقلة الحضارية الثقافية التربوية في النظر إلى المكتبات المدرسية. وأثق أن مثل هذا التحول سوف «ينسحب» على مدارس البنات التي لا يقل عددها عن عدد مدارس الأبناء، وكذا الحال مع المدارس الأهلية للبنين والبنات، مع العلم المسبق أن بعض المدارس الأهلية النموذجية قد خطت خطوات متقدمة في هذا المجال فتعم التجارب، والصالح منها بخاصة، وأظن أن أسعد المعنيين بهذا هو الكتاب نفسه، إذ سيكثر جلساؤه ليس على مستوى المراحل التعليمية العامة، إذ هي الانطلاقة إلى الأنيس الونيس الذخر والعدة والعمدة، فالمزيد المزيد من الاهتمام بالمكتبات المدرسية والعامة والمتخصصة، وكان الله في عون الجميع.

* * * * *

المكتبة المدرسية.. ومفهومها المتجدِّد..

لا تزال فكرة المكتبة وما تقوم به من دور فعال في عمليات التربية وبناء المجتمع فكرة غير واضحة لدى الكثيرين، فهي عند البعض وسيلة ترف اجتماعي، وربما منزلي، وهي عند آخرين فكرة سابقة لأوانها نظراً للحركة التنموية التي تعيشها البلاد.. وهي أيضاً عند فئة ثالثة مسؤولية تربوية غامضة تتركز على وجود مجموعة من الكتب في مؤسسة أو هيئة تعليمية لمجرد تعبئة فراغ من جهة ووضعها في التقارير الدورية من جهة أخرى. وتشق المكتبات طريقها من حيث كونها وسيلة رئيسية في بناء أي معلم من معالم حضارة البلاد وثقافتها.. وهي في المدرسة وسيلة هامة في المسيرة التعليمية.

ويدور نقاش على صفحات الجزيرة وتبادل لوجهات النظر حول المكتبة المدرسية وعوامل إنشائها والعقبات التي تعترض مسيرتها وما يتوقع أن تكون عليه.. وللمكتبات المدرسية إدارة حكومية تابعة لوزارة المعارف في هذه البلاد هي الأدرى بظروف المكتبة المدرسية والعقبات التي تعترضها وتسند إلى هذه الإدارة مهام إنشاء مكتبات في المدارس حتى يقال أن كل مدرسة فيها مكتبة مدرسية وعليه فإن المكتبات المدرسية في عددها تساوي المدارس على مختلف مستوياتها.. وعلى كل حال

تبقى هذه الإدارة الحكم الأول في فكرة المكتبة المدرسية وما وصلت إليه من تأثير في مسيرة التعليم..

والحديث عن المكتبة المدرسية يأخذ عادة أسلوب التعميم فيخلط في ذلك غالباً المدارس على مراحلها الثلاث الرئيسية: الابتدائية والمتوسطة والثانوية.. إلا أن لكل مرحلة من المراحل الثلاث نوعيتها الخاصة بها من حيث المجموعات ومن حيث المحتوى ونوعية المعلومات التي تشملها المواد المكتبية، كما أن استخدام المكتبة يختلف من مرحلة إلى أخرى حسب عوامل التربية وحسب عامل السن كذلك، والذي تكاد تتفق عليه المراحل الثلاث إذ إنها القاعدة التي يقوم عليها التكوين الثقافي والفكري للطلاب والطالبات..

● ● والمكتبة المدرسية في المرحلة الابتدائية ترتكز على فكرة العرض أكثر من قيامها على فكرة القراءة والاطلاع، فلا يتوقع من الأطفال في هذه المرحلة أن يكونوا قارئي كتب بالمعنى الذي تعارفنا عليه في قراءة الكتب، بل إن ما يراد إيصاله إليه يتم عن طريق الصور والرسومات أكثر من طريق الحروف والكلمات، وإن صاحبت الرسوم والصور بعض الجمل التي تعين الطفل على ربط الصورة بكلمات معينة.. وعلى هذا فإن مكتبة الأطفال في المدارس الابتدائية بدأ يغلب عليها اسم (مركز الوسائل التعليمية) بدلاً من اسم مكتبة.. وهذه الوسائل التعليمية في هذه المرحلة متنوعة يغلب عليها جانب التشويق والدعوة إلى استعمالها، من خلال جذب انتباه الطفل وذلك عن طريق الأفلام والصور المكبرة التي تأتي على شكل لوحات مضخمة والشرائح الفلمية مع التعليق عليها بأسلوب معين يختلف تماماً عن الأسلوب الذي يعرض على البالغين حين مشاهدتهم لمثل هذه الشرائح.. ويضاف إلى ذلك جوانب التسلية الأخرى من ألعاب الأطفال التي روعي فيها أن تنمي فيهم مواهب معينة وتبرز

المهارات وتصقلها، وكثير من الأطفال ينسجم مع هذه النوعية من الألعاب التي تتطلب إعمال فكر ولو كان محدوداً جداً.

ويدخل في جانب التسلية السرد القصصي الذي يتبع أسلوباً معيناً في الأداء من حيث النبرات الصوتية ومحاكاة الحيوانات والأصوات الأخرى ثم اللجوء إلى تمثيل مشهد معين من المشاهد التي تدعو إليها القصة.. وهذا الأسلوب بدأ يشيع في المدارس الابتدائية ومدارس الروضة أو ما قبل المدرسة الإبتدائية وما أشبه الليلة بالبارحة، فقصص الجدة لا تزال راسخة في أذهاننا، ولا شك أنه كان لها أثر كبير في حياتنا من حيث إنها شغلت فراغاً محدداً كنا نعانيه.. فكانت الجدة ـ وأحياناً الوالدة ـ تملأ هذا الفراغ بـ(السولافة أو السبحانية أو الحكاية) والتي كان يقال في سردها أن تكون هادفة أكثر من كونها أسطورة معينة يعمل فيها الخيار دور الموجه الأول في حبكها وسردها.. يستفاد من هذا الأسلوب اليوم استفادة واضحة من حيث نقلها من تركيزها على الأدب الشعبي الخفيف إلى سرد القصص التي تخدم الهدف التربوي والتعليمي لهذه المرحلة..

ثم يأتي الكتاب كأحد مقومات مركز الوسائل التعليمية الذي كان يسمى المكتبة المدرسية، والكتاب في هذه المرحلة كما ألمحنا سابقاً يعتمد أسلوب العرض من حيث كثرة الصور المعبرة، وهو عادة يطبع بأسلوب معين من حيث الحجم والورق والألوان وبنط الحروف، وعادة ما تكون الصورة فيه أكثر من الكتابة مع كبر حروف الكتابة وتشكيلها.. والكتاب بهذا الشكل يغلب عليه جانب التسلية كذلك، إلا أنه يخدم غرضاً تربوياً وتعليمياً باتباعه هذا الأسلوب..

هذا المفهوم الحديث للمكتبة المدرسية يتطلب شخصاً متخصصاً في الوسائل التعليمية هذه جميعها، فهذا الشخص تكون لديه أو لديها

المقدرة على تشغيل الأجهزة وحسن استعمالها وإعدادها، كما يتوقع من هذا المتخصص أن يكون على دراية بأسلوب السرد القصصي والإنتاج التمثيلي وربما الإخراج كذلك، إذ ربما دعا الأمر إلى إعداد التمثيليات المترجمة عن الكتاب الذي يقرأه الطفل أو القصة التي تسرد عليه. . وإذا علمنا أن الأطفال ميالون إلى عدم ترك الشيء على ما هو عليه بحكم حب الاستطلاع والتملك الفطري علمنا أن كثيراً من الأدوات والأجهزة الحساسة ربما تعرضت للعطب أو التلف، وهذا بدوره يتطلب مقدرة على الإصلاح أو الاستعداد المبدئي لاستبدال التالف مما له تأثير مباشر على المخصصات المالية الممنوحة لمركز الوسائل التعليمية. . وقد يدعو هذا الأسلوب في الأداء إلى الاستعانة بأكثر من متخصص واحد للقيام بهذه المهمات، ولكن التحديد هنا يتوقف على حجم المدرسة ذاتها وحجم المركز الذي يخدمها. .

● ● ثم تأتي مرحلة المدرسة المتوسطة وما يتبعها من تطور في أسلوب التفكير وفي طريقة التلقي، فتسير المكتبة المدرسية مواكبة لهذا التطور آخذة في البدء في الجدية في الوسائل والمواد أكثر مما كانت عليه في المرحلة الابتدائية فيكثر هنا التركيز على الكتاب، ثم إن الكتاب ذاته يتطور في محتواه بحيث تكون الكتابة أكثر من الصورة وأقل في طباعتها حجماً من كتاب المرحلة السابقة. . لكن طبيعة العصر تحتم أن يزاحم الكتاب أوعية أخرى للمعلومات لا تقل أهمية عنه فهناك الشرائح الفلمية والأشكال المصغرة والأفلام السينمائية وأشرطة الفيديو وأشرطة التسجيل المسموع مما يطلق عليه السمعية والبصرية، وربما غلبت هذه النوعية من الأوعية الكتاب في هذه المرحلة وإن كان المحتوى يكاد يكون متقارباً من حيث كثافة المعلومات المقدمة فيها جميعاً. .

وطفل بين الثانية عشرة والخامسة عشرة يتوقع أن يُعودَ على

الإمساك بالكتاب وقراءته والاستفادة منه، وربما أسند إليه مبدئياً تلخيص كتيب صغير يقرأه، لكن هذه المرحلة مع ميولها إلى الجدية لا تغفل جانب التسلية الهادفة التي تساعده على تنمية عادة القراءة عنده، وذلك من خلال تيسير المادة العلمية من كتاب وغيره وتسهيل طريقة الوصول إلى الكتاب عن طريق التنظيم المبدئي للكتاب والمواد العلمية الأخرى، بحيث تغرس في الطالب والطالبة الاعتماد على النفس في الحصول على المادة العلمية، وذلك من خلال التوجيه الخفيف حول الأسلوب الذي تعتمد عليه المكتبة في تنظيمها، وليس في هذا دعوة إلى إعطائه مواد معينة تدور حول استخدام المكتبة يشرح له فيها استخدام أنظمة الفهرسة والتصنيف، بل يكتفى بإعطائه فكرة موجزة قائمة الجانب العملي أكثر من النظري. . كما أن هذه المرحلة تتميز في البدء بإتاحة الفرصة للطالب أو الطالبة لاستعارة المادة وإعادتها في وقتها المحدد مع إعطاء الطالب الفكرة التي تدور حول أهمية إعادة المادة العلمية سليمة وفي وقتها المحدد وإن هذا الأسلوب يتبع في تمييز الطالب النجيب من غيره. .

● ● والمكتبة المدرسية في المرحلة الثانوية تكون عادة أكثر عمقاً وأكثر توسعاً من سابقتيها. . فهي هنا تبدو أكثر جدية من ذي قبل، كما أنها تبدأ مرحلة توجيهية تربوية ثقافية تخف معها الجوانب غير الجادة وأساليب التسلية. . فيتعدى استخدام المكتبة أسلوب القراءة والمطالعة إلى التوسع في طريقة الحصول على المادة العلمية التي بدأت نواتها في المرحلة السابقة بحيث يقل اللجوء إلى أمين المكتبة للاستعانة به في الوصول إلى الكتاب أو الدورية أو نحوهما. . والمنهج الدراسي في المرحلة الثانوية يلجأ إلى استخدام المكتبة من حيث كونها وسيلة فعالة في إعداد بحوث خفيفة يكلف بها الطلاب والطالبات في هذه المرحلة، على أن هذا الأسلوب إنما هو تمهيد للمرحلة الجامعية التي ينتظر منها أن

تعطي فكرة البحث والإعداد لها اهتماماً واسعاً إلى جانب الاعتماد على المراجع والكتاب المدرسي المقترح الرجوع إليه.. ولن يتم اعتماد الطالب على نفسه في المرحلة الجامعية إذا لم يكن معداً من قبل، وذلك في المرحلة الثانوية.. وهذا الأسلوب ربما يكون غير موجود في كثير من مدارسنا الثانوية فهو يعتمد على اجتهادات الأساتذة في هذه المرحلة إلى جانب توافر المكتبة (النموذجية) التي يتوقع منها أن تغطي جوانب البحث المنهجي المتمشي مع برامج هذه المرحلة، وحبذا لو تنبه المربون وأهل التعليم إلى هذه النقطة وحاولوا دراسة الموضوع من جميع جوانبه لتهيئة المجال للطالب في هذه المرحلة أن يكون ذا صلة بالمكتبة.. وربما جرنا الأمر إلى الدعوة إلى إدخال مادة تغطي هذه الناحية وتكون مستقلة بذاتها وذات قسمين.. القسم الأول الجانب النظري في إعداد البحث واستعمال المكتبة والقسم الثاني الجانب العملي المتمثل في البحث عن مواد علمية محددة وإعداد بحوث خفيفة وما إلى ذلك.. وليس في هذا مبالغة ـ فيما أرى ـ فنحن نعد طالب المرحلة الثانوية إلى أن يخوض أكثر من مجال فني ومهني وعلمي فليس أقل من أن نعطيه فكرة عن دور المكتبة في المجالات الثلاثة، ولا تقل أهمية هذه المادة المقترحة عن أهمية المواد العلمية الآخرى التي تلجأ إلى استخدام المعامل تمهيداً للتوسع في استخدامها في مراحل بعد الثانوية المتفرقة..

وفي هذه المرحلة أيضاً تزرع في ذهن الطالب والطالبة فكرة أن المكتبة هي أفضل وسيلة لقضاء وقت الفراغ لدى الطلاب في هذه المرحلة الحساسة من أعمارهم بالإضافة إلى التأكيد على أن الكتاب نعم الذخر والعدة، كما يذكر أستاذنا الجاحظ في حديثه عن الكتاب... تزرع في الطالب والطالبة هذه الفكرة في وقت يشهد فيه جميع المربين والمهتمين بأمور المكتبات بأن وسائل التسلية الأخرى بدأت تزاحم

المكتبة والكتاب في استقطاب الشباب، فالكتاب كما نعلم يحتاج إلى إعمال ذهن وتكوين فكر، أما الوسائل الأخرى فهي لا تتعدى أسلوب النظر والمتابعة غير المحددة بوقت أو مكان، ولذا يعمد المهتمون في المكتبات إلى تقديم البدائل لوسائل التسلية المتعددة باستخدام نفس الأسلوب في الأداء لكن مع اختلاف واضح في المحتوى..

● ● وبعد فإن هذه النظرة هي التي يتوقع أن تكون مطبقة في المكتبات المدرسية بمراحلها الثلاث، ولأهميتها وأهمية رسالة المكتبة في حياة الطالب منذ أول يوم يضع فيه رجله في فناء المدرسة إلى أن يخرج إلى الحياة العملية مساهماً في بناء مجتمع متكامل لأهمية ذلك تكرر الحديث عن المكتبات المدرسية في أكثر من موضع وأكثر من مجال، مع العودة إلى التأكيد أن هذا رأي فني لم ينظر إلى الظروف التي تحول دون تحقق هذه النظرة المثالية في المكتبة مع وجودها، لكن الذي يدعو إلى إلقاء الضوء على هذا الجانب من المكتبات المدرسية هو الثقة المصحوبة بالأمل بأن يكون هذا الأسلوب هو ديدن المدارس بمراحلها في استخدامها للمكتبة وأن تتخطى جميع العقبات أو على الأقل مجملها التي تقف دون النظر إلى المكتبة على أنها المركز الرئيسي في العملية التعليمية والتربوية، وأنها تستحق أن تنال العناية المرجوة من أكثر من إدارة ومدرسة ولا نغفل هنا مسؤولية الأستاذ في المراحل الثلاث فهو في الواقع المحرك الفعال في توجيه الطالب نحو المدرسة وكذا المدرسات مع الطالبات. أعان الله الجميع لما فيه الخير.

* * * * *

المكتبات المدرسية

عندما تنطلق كلمة المكتبة المدرسية فإنه يراد منها ثلاثة أنواع من المكتبات:

١ ـ مكتبة المرحلة الابتدائية.

٢ ـ مكتبة المرحلة المتوسطة.

٣ ـ مكتبة المرحلة الثانوية.

ولكل نوع من الأنواع الثلاثة مهماته وأهدافه التي من أجلها أنشىء. فالمكتبة المدرسية في المرحلة الابتدائية تأخذ طابعاً مميزاً يقوم على فكرة العرض والتعريف أكثر من قيامه على فكرة القراءة والاطلاع، إذ لا يتوقع من طفل أو طفلة بين السابعة والثانية عشرة من العمر أن يمسك كتاباً ويشرع في قراءته، إلا إذا روعي في هذا الكتاب الجوانب التي رسمت لهذه الفئة من الطلبة. وعليه فإن اسم المكتبات المدرسية في المرحلة الابتدائية يكاد أن يهمل ليحل محله مصطلح حديث روعي فيه أن يشمل جميع الجوانب التعليمية، وأطلق على هذا المكان اسم «مركز الوسائل التعليمية» وهو يشمل فيما يشتمل عليه على الوسائل التعليمية التي تأخذ جانباً من التسلية تجذب فيه انتباه الطفل، كالأفلام المبسطة والصور الواضحة والشرائح الفلمية مع التعليق عليها، وبعض الألعاب الخفيفة التي

تبرز المهارات وتنميها وتعمل على تشجيعها، مع أن هناك أسلوب سرد القصص على التلاميذ وانتقاء ما يتمشى مع الأهداف الكبرى للمجتمع الذي يعيشونه ومحاولة ترسيخ هذه الأهداف في أذهانهم باتباع هذا الأسلوب، وهذا حتماً يتطلب وجود القصص التي صيغت بأسلوب يجعل التلميذ ينسجم معها، وفي الوقت ذاته يخرج منها بنتيجة تنفعه في المستقبل، كما يتطلب هذا أيضاً وجود الشخص القادر على السرد القصصي، إذ إن هذا النوع يحتاج إلى تفاعل مع القصة المسرودة، وإظهار الحزن في مواقعه والفرح في مواقعه، بل ربما دعا الأمر إلى تمثيل مشاهدة معينة من القصة المسرودة، كما أن من ضمن مقومات مركز الوسائل للمكتبة المدرسية في «المرحلة الابتدائية» بعض العروض التمثيلية التي تخدم أغراض المدرسة وأهدافها الكبرى كذلك. ويأتي الكتاب أخيراً كأحد العوامل التي يقوم عليها المرء، وهذا الكتاب يطبع بأسلوب معين تكون فيه الصور التوضيحية أكثر من الكتابة والحروف، كما أن الحروف تكون عادة كبيرة واضحة مشكلة، فالهدف هنا تربوي وإن أخذ طابع التسلية. وهذا الأسلوب الحديث في مكتبة المدرسة في المرحلة الابتدائية له متطلبات عدة يأتي على رأسها المتخصص في الوسائل، وينتظر منه التفرغ التام لهذه المهمة بل ربما دعا الأمر إلى وجود أكثر من متخصص حسب حجم المدرسة التي يخدمها مركز الوسائل، ثم تأتي متطلبات الأجهزة والمواد الأخرى التي ربما احتيج إليها بشكل مستمر، وهي من النوع الذي يتلف بعد استعماله لأول مرة خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار أن من طبيعة هؤلاء التلاميذ أن يخضعوا الأجهزة والمواد للتلف بطرقهم البريئة المصحوبة بحبِّ الاستطلاع.

المرحلة المتوسطة:

أما المكتبة المدرسية في المرحلة المتوسطة فإنها تأخذ طابعاً جدياً

أكثر مما كان عليه مركز الوسائل التعليمية، إذ إن التركيز على الكتاب يبرز في هذه المرحلة، ولكن طبيعة العصر بدأت تفرض وجود أوعية معلومات أخرى تزاحم الكتاب، وهي أكثر منه قبولاً لدى تلاميذ هذه المرحلة إلا أنها هي أيضاً تأخذ طابعاً جدياً في محتوياتها، ولكنها جميعها محدودة في جديتها، إذ إن أسلوب التأليف والإنتاج تراعى فيه عادة المرحلة الزمنية التي يمر بها التلميذ وهي غالباً بين الثانية عشرة والخامسة عشرة، ولعل من أول أهداف هذه المكتبة في هذه المرحلة هي البدء في تعويد التلميذ على القراءة ومحاولته إيجاد بعض الحلول التي ربما واجهته من خلال قراءاته، ومجموعات هذه المرحلة، غالباً ما تكون تعليمية مساندة للمنهج الذي يدرس في هذه المرحلة مع عدم إغفال جانب التسلية الهادفة التي تحدث في التلميذ الرغبة في تلقي الأسلوب الناجح الذي يعرفه على غايات المجتمع وأهدافه، فهي توجد الجو الملائم لنمو عادة القراءة من حلال تيسير الكتاب والمادة العلمية وسهولة الوصول إليها من خلال التنظيم الدقيق للكتب والمواد العلمية الأخرى، كما أن هذه المرحلة تركز على الاعتماد على التنفس في الحصول على المادة العلمية من خلال التوجيه الميسر الخفيف حول الأسلوب الذي نظمت فيه المكتبة ووسائل الوصول إلى المادة. ولعل هذه المرحلة تتيح للتلميذ الاستعارة الخارجية لمدة محدودة يعطي معها الانطباع أن المحافظة على الكتاب وإعادته في وقته المحدد من الأمور التي تميز الطالب النجيب من غيره.

المرحلة الثانوية:

والمكتبة المدرسية في المرحلة الثانوية تتوسع أكثر وأعمق من سابقتيها، حيث يغلب عليها هنا الأسلوب الأكثر جدية في اختيار المادة العلمية. كما أن استخدام المكتبة يتعدى أسلوب القراءة والمطالعة

والاستعارة إلى معرفة السبيل إلى الحصول على المادة العلمية دون اللجوء إلى أمين المكتبة، وذلك من خلال التوسع في فكرة تنظيم المكتبة من حيث الفهرسة والتصنيف وخدمة المراجع. وإن كان الطالب قد أخذ شيئاً من هذا في المرحلة المتوسطة إلا أنه هنا يتميز بأنه أكثر عمقاً حيث إنه يتوقع من أساتذة بعض المواد تكليف الطالب بإعداد بحوث خفيفة تكون المكتبة مركزاً في علاجها والتحضير لها وجمع المادة لها، وما إلى ذلك من متطلبات البحث. وهي في الواقع نقلة إلى المرحلة الجامعية حيث يتوقع من الطالب أن يعتمد اعتماداً شبه كلي على نفسه، ولن يتم هذا إلّا إذا أعطي بعض المقدمات في استخدام المكتبة، على أن بعض المفكرين يدعون إلى إعطاء فكرة استخدام المكتبة على شكل مادة مستقلة تدرس في المرحلة الثانوية، مثلها في هذا مثل استخدام المعامل العلمية ونحوها التي هي في حقيقتها تمهيد لاستخدام المعامل المتكاملة في المرحلة الجامعية وما بعدها.

ولا تغفل المكتبة الوسائل التعليمية الأخرى فهي في هذه المرحلة مهتمة اهتماماً مباشراً بدعم المنهج وإعطاء معلومات عامة وإتاحة الفرصة للتسلية الهادفة، كما أن في المكتبة في هذه المرحلة أسلوب مقصود لإشعار التلميذ بأن المكتبة هي أفضل وسيلة للقضاء على الفراغ، وعليه فلا بد من التركيز على الجانب الأخير وهو جانب التسلية الهادفة قصداً إلى جلب التلميذ إلى المكتبة في وقت تزحمها فيه وسائل ترفيهية كثيرة جداً إلى درجة أن المكتبة أضحت ـ مع الأسف الشديد ـ آخر ما يفكر فيه التلميذ لقضاء وقت الفراغ.

* * * * *

الأطفالُ لا يقْرَأون!!

ـ ١ ـ

تتهم العرب أنها أمة لا تقرأ.. هل هذا الاتهام يقصد عرب اليوم أم يشمل عرب الأمس؟ فإن كان يشمل عرب الأمس فعرب اليوم هم أحفاد عرب الأمس ورثوا عنهم أشياء كثيرة خاصة ما جاء به الإسلام وشجع عليه.. وقد شجع الإسلام ودعا إلى العلم وطلب الحكمة.. وطلب الحكمة لا يتأتى إلا بالقراءة.. والقراءة تتأتى إما بالتأليف.. أو بالترجمة.. أو بتعلم لغات الآخرين والقراءة بها إذا خلت لغة المرء من شيء يقرأ.. بل لا تسعف المرء على قراءة ما فيها من مأثور ومحدث لا لندرته.. ولكن لكثرته..

وليس بالضرورة أن تربط القراءة باقتناء الكتاب.. فليست المكتبات الخاصة في البيوت دليلاً ـ دائماً ـ على أن مقتنيها يقرأون، وعدم توافرها في المنازل ليس دليل على أن أهلها لا يقرأون.. المكتبات العامة اليوم تنتشر في الأحياء مستقلة أو تابعة لمكتبة أم.. ولو جعلنا هذا الاقتناء مقياساً لوجدنا أن أحرص الناس على الكتاب أقلهم قدرة على شراء الكتاب.. وعليه فليس الاقتناء مقياساً.

وإذا قيل أن منابع المعلومات نادرة فليس دليلاً أيضاً على أن الأمة

لا تقرأ.. وإنما هو دليل على العجز في توافر الكتاب.. وهذا قد يؤثر على الإقبال على القراءة.. ولا يؤثر على القدرة على القراءة.. واتهام العرب بأنهم لا يقرأون ينصب فيما يبدو على القدرة على القراءة وليس على عدم توافر منابع المعلومات.

ـ ٢ ـ

تبدأ تنمية عادة القراءة عند الطفل في سنيه الأولى.. لا يولد القارىء قارئاً عندما يصل إلى أبواب الثانوية.. أو يطرق أبواب الجامعة.. ومن توفير منابع المعلومات أن نوفر للطفل الكتاب.. كتاب الطفل.. يراعى فيه ما يراعى من نفسية الطفل والطرق التي يقبل من خلالها على القراءة.. والتدريج في هذه الرعاية.. وهذا أمر لا نتحدث عنه.. فهو إلى النفس أقرب وللنفس علماؤها الذين يرسمون هذه المراعاة وطرقها.. وإنما ننظر نحن إلى هذه الفكرة من وجهة فنية نستعين بها بعد الباري على هؤلاء العلماء الذين يؤخذ من كلامهم ويرد.. مثلهم في هذا مثل سائر البرية إذا استثني منها الأنبياء المعصومون.

والتركيز قبل كل شيء في الطريق إلى تنمية عادة القراءة لدى الأطفال يبدأ من الدار حيث توفر له «مكتبة» فيها نواة لمسيرة طويلة مع الكتاب والقراءة.. تكون هذه الصغيرة معزولة عن مكتبة العائلة لا تختلط بها.. إذ لا يتوقع لمجموعاتها أن تدوم.. فالطفل سيقرأ شيئاً منها ويمزق شيئاً.. ويلون شيئاً.. وربما لن يتردد في أن يهدي شيئاً.. فلا تطول يده مكتبة العائلة يفعل بها ما يفعل بمكتبته الصغيرة.. فتعزل هذه عن تلك.. ثم تخضع المكتبة إلى التطوير في المجموعات بحيث ينتقل ما بقي من المجموعات الأولى إلى الطفل التالي وتنمى.. وتزود المكتبة الأصل بما يتناسب والمرحلة التي يمر بها الطفل.. قولوا الأول.

ـ ٣ ـ

والمدرسة لا يقصد بها المدارس الابتدائية والمتوسطة الثانوية

فحسب.. بل لا بد من إدراج المدارس المهتمة بهم قبل المرحلة الابتدائية.. ويطلق عليها البعض دور الحضانة ورياض الأطفال.. والمكتبة المدرسية تبدأ من دار الحضانة.

ولعل من شروط دور الحضانة أن يكون بها مكتبة كما يكون بها ساحة للعب وكمية من اللُعب.. وكما يكون فيها المربي.. أو المربية.. وليس من الحكمة في تنمية عادة القراءة لدى الطفل أن تهمل المكتبة في دور الحضانة.. وكذا الحال في رياض الأطفال.

ـ ٤ ـ

يقولون إن المكتبة في المدرسة ـ بما فيها دور الحضانة ورياض الأطفال ـ أصبحت تدعى باسم آخر.. لا بأس أن تسمى مركز الوسائل.. فيدخل بها غير الكتاب من وسائل التعليم.. وليس وسائل الإيضاح.. ورغم أن اسم المكتبة مفضل جداً لارتباطها بما «كتب» التي تلازمنا في اللغة العربية ملازمة مباشرة من خلال الأمر بالكتابة في العهود والمواثيق.. ومن خلال قياس الناس بما لديهم من كتاب.. ورغم هذا فربما ـ مؤقتاً ـ رضينا بالمصطلحات المنقولة عن الأجنبية.. وربما أحياناً دون ترجمة مناسبة.. وربما أحياناً دون ترجمة على الإطلاق.. والمكتبة ـ لأنها مفضلة ـ لم تكن ولا يتوقع لها أن تكون مقصورة على الكتاب على العموم.. وفي مكتبات الأطفال بخاصة.. فغالبية مجموعات مكتبات الأطفال من أدوات التسلية والترفيه التي روعيت فيها نواحي التثقيف والتعليم والتربية.. ولكنها في الظاهر للتسلية.. ولم تكن المكتبات ترفض أن تتعامل مع التقنية الحديثة في نقل المعلومات وإيصالها إلى «المستفيد»، الطفل هنا، كاستخدام التقنية الحديثة في التسلية والترفيه التثقيفي التعليمي التربوي.. والوسائل التقنية الحديثة اليوم جزئية من جزئيات مقتنيات المكتبة عموماً.. ومكتبة الطفل بصورة أوضح.

ـ ٥ ـ

ولتنمية عادة القراءة لدى الطفل يتحتم على المدارس أن تجدَّ في النظر إلى المكتبة المدرسية.. وتأثيرها على التلميذ.. فلا ينظر إلى المكتبة المدرسية هذه النظرة السائدة ـ ولكنها ليست مطردة ـ إلى أن المكتبة مكان لقضاء فراغ.. أو أنها جزء من النشاط.. أو أنها مكان للنشاط الذي يكون على حساب تنمية عادة القراءة.

يقول الناس إن الأمثل أن تُخَصَّص حصة أو حصتان للمكتبة.. وهذا مطلب عزيز.. فالمناهج اليوم لا تكاد تغطى في الحصص المخصصة لها.. وتخصيص حصة أو اثنتين للمكتبة سيكون على حساب الحصص الأخرى.. أو على حساب وقت الطالب والمدرس والمدرسة.. والذي يبدو أن الرؤية المثلى هنا تتجه إلى مادة القراءة أو المطالعة. يكون نصيب غير يسير منها في المكتبة.. ولو طلب من الأستاذ المدرس أن يغطي المنهج الموجود في الكتاب المقرر.. إلا أن المكان الأمثل لهذه المادة في المكتبة المدرسية.. ومفردات المادة ينبغي أن تشتمل على تنمية عادة القراءة لدى الأطفال باستخدام المكتبة.. وعدد كاف من نسخ من مجموعة يسيرة من كتب مختارة ينبغي أن يكون متوافراً في المكتبة المدرسية. وليس المراد هنا جميع مقتنيات المكتبة.. وإنما مجموعة مختارة.. يمسك بها التلاميذ ويقرأون.. ليس المهم في هذه المرحلة أن يفهموا كل ما يقرأون.. المهم هنا أن يتعودوا على القراءة.. الأستاذ يشرح لهم ما يقرأون بين الفينة والفينة.. ولكنه يركز على طريقة القراءة.. وآداب القراءة.

يستعير الطلاب الكتب فيعارون.. يعوَّدون هنا على آداب التعامل مع الكتاب المعار. وقت إعادة الكتاب.. هيئة الكتاب عندما يعاد.. وهكذا. لا يقصد من هذا الجراء إلا التعويد وتنمية عادة القراءة لدى

الأطفال.. ومما تعوّدت عليه من أستاذ المطالعة في المرحلة المتوسطة القراءة دون صوت ودون تحريك الشفاه. رسخت هذه العادة بفضل الأستاذ.. والذي ينبغي هنا ألا تكون مثل هذه الجهود شخصية تعتمد على وعي الأستاذ الفردي ومدى رغبته في التركيز على هذه العادات الحسنة.

ـ ٦ ـ

والمكتبة المدرسية إذا قامت على الشكل المبتغى تحتاج إلى من يقوم عليها. ولا يكفي أن يقف على المكتبة أحد المدرسين في أوقات محدودة من اليوم الدراسي.. القيام على المكتبة اليوم مجال محدد.. له رجاله.. ونساؤه أيضاً.. وفي البلاد اليوم خمسة أقسام للمكتبات والمعلومات.. تدرس الأولاد والبنات.. وقسم منها في جامعة أم القرى آثر أن يركز على المكتبات المدرسية.. أكثر من تركيز الأقسام الأخرى.. وكل مكتبة مدرسية تحتاج إلى واحد ـ على الأقل ـ من هؤلاء المؤهلين لقيام برعاية المكتبة وتلبية الرغبات المناطة بالمكتبة والمطلوبة من قبل المدرسين والطلاب.. رعاية الكتاب تنظيمياً مركزية من قبل إدارات المكتبات في الهيئات المشرفة على المدارس.. ولكن ما نسميه بالخدمات التي تقدم للطلبة والمدرسين تحتاج إلى من يقوم عليها قياماً تخصصياً.. فكل مكتبة تحتاج إلى أمين مكتبة يكون مساوياً وظيفياً للمدرسين ويعامل بكادرهم قصداً إلى جعله في منزلة واحدة معهم حافزاً له ليشعر أنه بين أترابه.. ويشعرون أنه معهم.

هذه الإجراءات الفنية كفيلة بأن تعين على تحقيق الهدف من المكتبة. وهو جزء من أهداف المدرسة.. تنمية عادة القراءة لدى الأطفال.. يستمر هذا الأمر مع الطالب في المرحلة المتوسطة والثانوية.. فلا يصل إلى المرحلة الجامعية، إن أراد الوصول إليها، إلا وقد أضحى

قادراً على التعامل مع الكتاب والمعلومات.. المرحلة الجامعية يراد بها ما فوق المرحلة الثانوية ولو لم تكن بالضرورة دراسة جامعية.. إذ ليس من المتوقع أن ينصرف كل خريجي الثانوية إلى الجامعات.. فتنمى عادة القراءة في المجتمع كله.. وتنتفي التهمة التي تتردد حول عدم قيام العلاقة بين العرب والقراءة.. التهمة التي لا نريد أن نشجع على ترسيخها عندما يخف اهتمامنا بالمكتبة بدءاً من المراحل دون الابتدائية.. إلى المراحل ما فوق الجامعية.. أو ما بعد الجامعية.. فيضحي الأطفال يقرأون.. ويغدون يقرأون.. ويمسون يقرأون.. بل ويصبحون يقرأون.. فالأطفال ـ صغاراً أو كباراً ـ قادرون على القراءة.. أما كيف يقرأون.. وماذا يقرؤون فلهذا وقفات يقفها المهتمون بأدب الطفل.. والمهتمون بتربية الطفل.. أعان اللّه الطفل والمهتمين بأدب الطفل وتربية الطفل.. وكان اللّه في عون الجميع.

الجزيرة ـ الأحد ٢٦ جمادى الأولى ١٤١٠ هـ

٢٤ ديسمبر ١٩٨٩ م ـ العدد ٦٢٩٦

مكتباتُ الأحيَاء

رغم تعدد روافد الثقافة إلا أنه ما زال الكتاب هو سيد هذه الروافد، والوسيلة الرئيسية الحالية لعملية التثقيف التي تشهدها الأمم يوماً بعد آخر.

وفكرة إنشاء مكتبة عامة في كل حي من أحياء الرياض لهي فكرة جيدة حيث تساهم في إثراء العملية التثقيفية بجوار ساعات الترفيه للإنسان.

فالمكتبة لا تقل أهمية عن المدرسة والمستشفى ودور الرعاية والوقاية الصحية المنتشرة في أرجاء أحياء العاصمة الرياض حيث ستوفر رافداً مهمًا من روافد المعرفة والثقافة من خلال الكتب المتخصصة في مختلف المجالات.

سبق وأن كتب أحد الأخوة (سلمان بن محمد العُمري) في مجلة اليمامة العدد ٩٥٠ الصادر في ١٤٠٧/٨/١٠ هـ فكرة قيام مكتبة صغيرة حول كل حديقة انتشرت في أرجاء مدينة الرياض. وعند قراءتي لهذه الفكرة تبادر إلى ذهني وجود مكتبة لكل حي من أحياء المدن في البلاد. وأسميها مكتبات الأحياء (جمع حي أي رقعة سكن!!).

والحق أن مدن البلاد شهدت نهضة عمرانية واضحة المعالم،

وخاصة بعد قيام صندوق التنمية العقارية الذي ساهم مساهمة ملموسة في إنماء المدن في هذه البلاد. وقد جرت العادة العلمية والثقافية والاجتماعية والصحية أن يكون في كل مدينة مجموعة من المرافق التي تقدم خدماتها لساكني هذه المدن. فهنالكم المدارس بمختلف مراحلها، وهنالكم دور الرعاية الاجتماعية بمختلف اهتماماتها، وهنالكم المستشفيات والمستوصفات ودور الوقاية الصحية. وهنالكم أيضاً المكتبات.

١ ـ والمطلع على وضع المدن عندنا يدرك أنها ترامت الأطراف وكاد كل حي فيها أن يكتفي بمرافقه، فتجد أن (النزول) إلى قلب المدينة محدود، ويكاد يمر على الإنسان وقت غير قصير وهو لم يعرج على وسط المدينة. وهذا ما يتعلق بالتوسع العمراني للمدن، ويمكن أن يعد عاملاً أول من عوامل قيام فكرة مكتبة الأحياء.

٢ ـ والعامل الآخر أن قيام مكتبة في كل حي يعتبر مؤشراً حضارياً وثقافياً في آن واحد، إذ إن الكتاب لا يزال ـ رغم كثرة المنافسين ـ يعد الوسيلة الرئيسة للعملية التثقيفية التي تشهدها الأمم يوماً بعد يوم. ويمكن بحق أن تقاس حضارة الأمة بكثرة الكتاب فيها وتداوله، ومن ثم كثرة المكتبات التي تخدم هذا الكتاب.

٣ ـ وعامل ثالث يتعلق بالعامل الأول، ولكن ينظر إليه هنا من زاوية الوقت، إذ إن المطلع أو القارىء أو المستفيد بحاجة إلى المادة العلمية التي يبحث عنها في أسرع وقت يمكن له، وعليه فإن نزوله إلى مقر مكتبة المدينة قد يكلفه الوقت والجهد اللذين يزيدان بحق عن الوقت والجهد اللذين سيبذلهما في الحصول على المعلومة التي يحتاجها.

٤ ـ وعامل رابع يعين على فكرة قيام مكتبة الحي وهو أن الميول القرائية لا شك تختلف من حي إلى آخر. فالقاطن أو العامل في المنطقة

الصناعية ـ في أي مدينة ـ يحتاج إلى نوعية محددة من الإنتاج الفكري قد تكون ألصق بالصناعة والهندسة ونحوهما من اهتمامات العاملين في هذه المنطقة، بخلاف القاطنين أو العاملين في الحي الدبلوماسي ـ مثلاً ـ حيث سيغلب على احتياجات هؤلاء جوانب سياسية واقتصادية وحضارية ونحوها مما يخدم ميول هذا الحي. وهناك مؤشرات تحدد الميول الثقافية لكل حي من الأحياء وإن لم تكن واضحة وضوح المثالين السابقين. ونحن بتوزيع المكتبات على الأحياء، نعين على سرعة الوصول إلى المادة العلمية لقلة محتويات مكتبة الحي مما يسهل الوصول إلى المطلوب.

٥ ـ وعامل خامس يدعو إلى وجود مكتبة بالحي هو أن هذا المجتمع يعيش استقراراً اقتصادياً يعين على العودة إلى الكتاب أي إلى الثقافة ـ بعد أن تخطينا مرحلة كانت في نظر الكثيرين غير عادية أبعدت غير قليل من الناس عن أشياء أساسية في حياتهم وجعلتهم يركزون جهودهم على جانب واحد فقد دعت إليه الفترة التي عاشها هذا المجتمع. تلكم فترة كانت تسمى بفترة الطفرة. وقد تخطيناها ولله الحمد دون أن تترك فينا آثاراً سلبية تذكر. وهذا العامل يبرر جدوى المكتبة المحلية أو مكتبة الحي.

٦ ـ وعامل سادس من عوامل قيام مكتبة الحي هو أن طلاب الحي يكلفون ببعض الواجبات المدرسية، وربما كان من ضمن هذه الواجبات الاطلاع على بعض من الكتب بعد دوام المدرسة حيث المكتبة المدرسية مغلقة، فيلجأ الطالب إلى مكتبة الحي يبحث فيها عن ضالته، وربما قصد الطالب مكتبة الحي بحثاً عن الهدوء الذي يتطلبه أداء الواجبات ولو لم يستعن بمجموعات المكتبة. ومعلوم أن المكتبات عموماً تعد مكاناً مناسباً جداً للاستذكار والدراسة لا ينافسها في هذا الجانب إلا المساجد في هذا المجتمع.

٧ ـ وعامل سابع يؤيد فكرة مكتبة الحي هو أن هذه البلاد تعيش مما تعيشه نهضة ثقافية تترجمها مناسبات تكريم المتفوقين من الطلبة والجوائز الثقافية وكثرة الأندية الأدبية والجمعيات الثقافية وانتشار معارض الكتاب وانتشار المكتبات التجارية والتركيز الثقافي في وسائل الإعلام، والإصرار على مواجهة التحديات الثقافية الواردة من مجتمعات غير متجانسة مع مجتمعنا وخلفيته الدينية الثقافية الحضارية، وبلاد تعيش هذه النهضة الثقافية سوف تترجم ذلكم أيضاً من خلال انتشار المكتبات بكل أنواعها ومنها مكتبات الحي.

٨ ـ وعامل ثامن من عوامل إنشاء مكتبة الحي هو أن هذه النهضة الثقافية ستنعكس على مكتبة المدينة العامة التي قد تكون الوحيدة من نوعها في المدينة. وهذا الانعكاس ستكون له آثاره السلبية على فعالية الخدمات التي تقدمها المكتبة (الأم) فتقوم مكتبات الحي لتساند المكتبة الأم في أداء الخدمات. وهذا يوجب أن تكون هذه المكتبات عالة على مكتبة رئيسة في المدينة.

المكتبة العامة:

ولا أريد أن أسميها المكتبة المركزية لئلا تشتبه بمكتبات الجامعات المركزية، والحق أنها مكتبة عامة مركزية تقوم بكل الأساليب والسبل والإجراءات المكتبية الفنية من تزويد وتسجيل وفهرسة وتصنيف وخدمات أخرى ثم ترسل المادة العلمية إلى مكتبات الحي جاهزة للاستخدام. وهذا الأسلوب سوف يقلل من الحاجة إلى القوى العاملة المؤهلة في كل مكتبة حي. إذ ربما اكتفت مكتبة الحي بأمين مكتبة في قسم الإعارة وأمين مكتبة بقسم المراجع وبعض المساعدين المكتبيين وعدد محدود من العاملين غير المؤهلين. والتقليل من القوى العاملة سيقلل من الأعباء الإدارية الأخرى مما ينعكس على خدمات مكتبات الحي.

وكون المكتبة العامة المركزية ستقوم بكثير من الإجراءات، هي

أيضاً ستقوم بتقديم الخدمات المكتبية العامة التي قد لا تستطيع القيام بها مكتبة الحي. ولكن طلبات هذه الخدمات ستصل من المستفيد (المطالع أو القارىء) عن طريق مكتبة حيه دون أن يجشم نفسه عناء الاتصال بالمكتبة العامة نفسها. ووسائل الاتصال الحديثة كفيلة بأن تيسر مثل هذه الخدمات، ليس بين مكتبات الحي والمكتبة العامة المركزية فحسب، ولكن بين المكتبة العامة في مدينة ومكتبات عامة في مدن أخرى في البلد نفسه أو خارجه. والبريد الألكتروني يعد وسيلة حطمت كثيراً من عقبات الاتصال السريع وهو أحد الأساليب التي تستخدمها المكتبات فيما بينها.

وبعد.. فهذه خواطر مجتمعة عن صرح ثقافي تهتم به هذه البلاد ممثلة بالقائمين عليها.. وهو صرح مجرد يجده الزائر لبعض البلاد الأخرى ويجد له رواده من أهل الأحياء، وتنعكس خدماته على الحي ليس فقط من خلال توفير الكتاب أو المادة العلمية، ولكن أيضاً من خلال نشاطات ثقافية متعددة يسهم فيها رجال ونساء الحي كل فيما ينفعه ويناسبه.. فتقيم مكتبة الحي الندوات وتدعو إلى المحاضرات وتعرض الأفلام وتعقد الدورات في التربية والاقتصاد المنزلي والتعاون وبث روح الإخاء، ويكون هناك تنافس بين الأحياء في عدد الأنشطة التي يقيمونها من خلال مكتبة الحي. فتسهم المكتبة حقاً في التنشيط الثقافي مما يعين على رقي الأمة وفهمها الفهم الصحيح لمفهوم الحياة ودور المواطن والمقيم في آن واحد في خدمة المجتمع الذي يقطن فيه. كما يتعرف على خدمات هذا المجتمع التي يستفيد منهاويتمتع بها. وتلكم فكرة سوف تعين على التعرف على دور المكتبة في خدمة المجتمع. وهي فكرة موجهة إلى الجهات المعنية من البلديات والشؤون الثقافية والإعلامية للنظر في جدواها وإمكانية تطبيقها. وكان الله في عون الجميع.

الجزيرة ـ السبت ١٤ ربيع الآخر ١٤٠٨ هـ ـ ٥ ديسمبر ١٩٨٧ م ـ السنة الخامسة والعشرون ـ العدد ٥٥٤٦

وفي عالم السجون كتاب..

هناك فئة من الناس جرتهم أقدارهم إلى أن يقضوا وقتاً من حياتهم بين القضبان، إما لجناية قاموا بها عن رغبة وعمد، وإما عن قضية تورَّطوا فيها ولم يكن لهم الخيار المباشر وإن كانوا يتحملون شيئاً من المسؤولية وإلا لما وضعوا في السجن أصلاً. وتقل أو تزيد نسبة هؤلاء الأفراد تبعاً لاستتباب الأمن أو عدم استتبابه في المجتمعات، ولذلك يقر الكثيرون من الباحثين في شتى أنحاء العالم بأن هذا المجتمع يشكل أقل نسبة في المساجين في العالم قاطبة، وذلك للإصرار المستمر على تطبيق حدود الشريعة الرادعة، حتى أصبح هذا المجتمع السعودي المسلم مضرب المثل في الأمن والطمأنينة.

وقد أتيحت لي الفرصة أن أعيش في مجتمع توصد فيه الأبواب وتكثر فيه منبهات الشرطة والإسعاف والمطافىء حتى بتنا على هذه الأصوات وصحونا عليها وأصبحت لازمة من لوازم الحياة في ذلكم المجتمع، وقد كنت ولا أزال أردد وبدون مبالغة أن الكثيرين يخرجون من بيوتهم ولا يعلمون هل يعودون إليها، وإذا عادوا إليها لا يدرون هل يجدونها في مكانها أما أنها رُحِّلت بتشديد الحاء المكسورة وضم الراء. ولذلك تغص سجون أولئك إلى درجة أن الأحكام تصدر في بعض المدن

بإطلاق سراح بعض المسجونين قبل أن يتموا مدتهم القانونية التي حوكموا بها ليس لأنهم كانوا مثاليين فصدر في حقهم إعفاء، بل لأن السجون قد امتلأت إلى درجة عدم القدرة على الاستيعاب للأعداد التي تتوالى على السجون. فأخرجوا المسجونين الذين يرتكبون الجريمة طوعاً وعن رغبة لمرض فيهم أو عوز أو حاجة ليقوموا بنفس الدور تماماً وكأنهم لم يمروا على السجن ولن يمروا عليه ثانية. وعند التحقيق في كثير من الجرائم يلاحظ أن من قام بها عند القبض عليها كان قد ارتكب جرائم مختلفة فهو ذو سوابق وسجله مليء بالمخالفات.

ونتيجة لهذا الزخم الهائل من بني البشر الذين يقطنون السجون في تلك المجتمعات ظهرت بعض الأفكار حول رسالة السجن ذاتها، فالفكرة الأولى كانت تقوم على «حبس» السجين في زنزانة تتسع أو تضيق حسب حجم الجريمة وذلك لمدة يحددها القاضي بعدها يعود السجين إلى المجتمع وقد صلح أو عاهد نفسه على الصلاح وطرق أبواب الخير بعد أن عانى ما عانى في زنزانة ضيقة حرمته حرية التحرك والتصرف، وسلبت منه سمة الإنسانية نتيجة لجناية قام بها في وقت سيطر الشيطان فيه على فكره، وأحاسيسه، وتطورت الفكرة من الزنزانة إلى إيجاد بعض الأنشطة التي تهيىء السجين إلى أن يكون عضواً عاملاً في المجتمع بدلاً من أن يكون عالة عليه، فأقيمت ورش النجارة والميكانيكا والخياطة والحياكة والزخرفة وغيرها الكثير من وجوه النشاط، وصار الأمر يعود إلى السجين غالباً في اختيار ما يميل إليه من هذه الأعمال، بل إن فصول الدراسة قد فتحت لمن لهم الرغبة في التعلم أو مواصلة التعليم، فخرجت السجون رجالاً مؤهلين علمياً فكان لهم بارز في خدمة المجتمع بعد أن طووا صفحة سوداء مرت عليهم في حياتهم كان ينقصها التفكير والتروي.

على أن هذه الأنشطة المتاحة في سجون اليوم إنما هي لأولئك

الذين يرجى صلاحهم، ويبقى أولئك الذين تفرض عليهم طبيعة جنايتهم أن يكونوا معزولين عن كل شيء، فهم أولئك الذين ارتكبوا جنايات أخرجتهم من نطاق الإنسانية بل ربما تبرأ منهم وحوش الغاب. ولسنا بصدد التوسع في فئات السجناء في هذا المجال وذلك للجهل المطبق بالتفاصيل من جهة ولعدم جدوى ذكر التفاصيل في هذا المقام من جهة أخرى، فيكفي أن نقول إن كثيراً من الجهات المسؤولة عن السجون في العالم بدأت محاولات لتغيير كلمة سجن إلى دار للإصلاح، ويقصد من وراء هذا إشعار من هم خارج السجن أن ما يدور في السجن ليس مجرد الحبس، بل إن هناك مجهودات لتصحيح الأخطاء التي وقع فيها المسجونون.

ويحدث كثيراً أن بعض المسجونين ينتبهون من غفلة كانت تسيطر عليهم يحركها الاندفاع وحب الظهور من جهة، أو يحركها لحظات عدم تحكم في النفس وعدم المقدرة على تحمل المشاكل والاعتماد إلى محاولة حلها حلاً فعالاً تكون نتائجه إيجابية بناءة. ويؤدي هذا الانتباه من الغفلة أن يعمد هؤلاء المنتبهون إلى اتباع أساليب سلمية متعددة في سبيل استغلال فترة وجودهم في دار الإصلاح أو السجن. ويأتي من هذه الأساليب محاولة البعض الكتابة، إما شعراً أو نثراً يبث فيها بطريق غير مباشر انفعالاته وخواطره وهو معزول عن الناس وعن المجتمع مع شعوره بأن وظيفته الاجتماعية قد أصيبت بالشلل. وأسلوب آخر هو محاولة البعض القراءة في مواضيع مختلفة كالقصة والرواية والشعر. وربما تعدى الأمر ليشمل تنمية المواهب من خلال القراءة فيقرأ السجين كتباً ثقافية وعلمية وتقنية، ثم يقوم بتطبيقها في معامل السجن إن أتيحت له الفرصة وغالباً ما تتاح.

ومن أجل هذا ظهرت فكرة مكتبات السجون، إذ تعمد كثير من

المناطق إلى تزويد سجونها بمكتبات تخضع خضوعاً تاماً للتوجيه الثقافي الذي يحلو للبعض أن يسميه بالرقابة على الكتب. والتوجيه الثقافي هذا أمر مهم جداً في كثير من المواقف وهو أهم في مجال السجون، إذ لا بد من اختيار المواد التي يراد من السجين الاستفادة منها، وتبعد كثيراً من المواد التي تعود بالضرر على السجين وربما عادت بالضرر على المجتمع ذاته، فالكتب والمواد التي تبحث في وسائل الهروب من السجن أو وسائل الانتحار أو وسائل صنع مواد تعين على الهروب من السجن أو مواد تعين على فكرة الانتحار مثلاً، هذه الكتب لا بد من إبعادها وعدم تعريف المسجونين بها ابتداءً ولو كانت هذه المواد أتت في عرضها عن طريق القصة أو الرواية أو القطعة النثرية التي هي في ظاهرها قطعة أدبية رائعة، لكنها في الواقع ربما أنارت الطريق إلى محاولة الهرب من السجن، الأمر الذي يحاول الكثيرون من القائمين على السجون تفاديه بأساليب علمية تقنية حديثة.

ومكتبات السجون اليوم أصبحت نوعية معينة من المكتبات مثلها في ذلك مثل المكتبات العامة والخاصة والمدرسية والجامعية ونحوها، وتقوم بمهمات المكتبات الرئيسية من اقتناء للكتب وخدمة مراجع وإعارة ونحوها. وأسلوب الإعارة من المكتبة يخضع لظروف معينة، إذ ربما حكم على أحد نزلاء السجن بالمرابطة في زنزانته أو غرفته ويكون من هواة القراءة، فيطلب من المكتبة الحصول على دواوين بعينها فتجلب له وهو في غرفته، وكثيراً ما يزود هؤلاء بالصحف والمجلات وهم قابعون في غرفهم يقضون فترة إلزامية تحتم عليهم عدم مغادرة المكان الذي وضعوا فيه والعجيب حقاً أن كثيراً من المسجونين نموا ثقافتهم وهم متواجدون في السجن، وظهروا من السجون شخصيات تختلف تماماً عن الشخصيات التي دخلوا فيها. وهذا حدا بالبعض إلى امتداح رسالة السجن

الجديدة واعتمادها على الإصلاح أكثر من فكرة الحبس لمدة حددها القاضي بعدها يخرج السجين خالي الوفاض في وقت كان ملائماً اطلاعه على أساليب متعددة يمكن فيها أن يطور نفسه ويسعى نحو الأفضل على أن الملاحظ أن الغالبية من السجناء يدخلون السجون مرة واحدة في حياتهم تتاح لهم الفرصة فيها أن يراجعوا أنفسهم ويقوموا تصرفاتهم السالفة، فيعمدون إلى معاهدة النفس على الصلاح والإصلاح فتأتي الأساليب الثقافية لتنير لهم الطريق، وتعينهم على طرق أبواب وتشجعهم على السير فيه، إذاً فتأثير هذه الأساليب إنما يأتي بعد وجود الرغبة في الصلاح، وليست هي المؤثر الأول في الصلاح والإصلاح، ولكنها ربما كانت مثبطاً في عدم الصلاح مع وجود الرغبة من قبل القائمين على السجون وعدم توافر هذه الرغبة عند المسجون، فيصاب الأشخاص بخيبة الأمل إذا لم يجدوا من يتبنى رغبتهم في التوبة من المساجين عما سلف ومحاولة العودة إلى الطريق السوي. والملاحظ أيضاً أن بعض المسجونين بعد خروجهم قد تزودوا بالثقافة ونموا مواهب لديهم كانت مكبوتة، الملاحظ أنهم يحاولون التكفير عن السقطة التي وقعوا فيها، فيعمدون إلى الانضمام إلى مجموعة من مؤسسات الإصلاح مثل مكافحة المخدرات أو المراكز التي تهتم بالمدمنين على الخمور أو على عادات سلبية أخرى، فيأتون إلى هذه المراكز طلباً للعون فيجدون قوماً كان لهم دور في طرق مثل هذه الأبواب فيكون التأثير أكثر جدوى عندما يتحدث المصلح بلغة طالبي العون. وقد كان لي جولة في هذا الصدد، فقد قابلت أكثر من واحد من هؤلاء المصلحين الذين أتوا من خلفية بائسة جرتهم في حقبة من حياتهم إلى ارتكاب ما أداهم في النهاية إلى إمضاء فترة من أعمارهم في السجن بعد أن خرجوا وهم رجال قد تبدلوا، وكنت أحاول جهدي لمتابعة هؤلاء من خلال أسئلتي الكثيرة عن وضعهم الماضي فيجد البعض

منهم المتعة في سرد تفاصيل الموقف خاصة إذا وثق أنني إنما أريد معلومات لا أصبو من ورائها إلى انزلاقهم في مشاكل هم في غنى عنها، وتكاد تتفق الآراء على أن المكتبة في السجن كان لها دور فعال في توجيههم.

رجال أسلموا في السجون:

وما دمنا بصدد الحديث عن عالم السجون تحضرني ظاهرة عجيبة حقاً تتعلق في إسلام مجموعة من المسجونين في المجتمعات الغربية بالذات. وقد أذهلت هذه الظاهرة العجيبة القائمين على السجون فدرسوها دراسة مستفيضة وركزوا على نتائجها في المجتمع بعد خروج هذه الظاهرة إليه، كما ركزوا على تأثيرها على سلوك السجين وهو يقضي فترة الحكم في السجن، فقد لوحظ أن المسلمين في السجون هم أهدى فئة يمكن أن تكون في سجن.

وتأتي هذه الظاهرة في بدايتها عندما دخل السجن أحد المسلمين واتخذ السجن قاعدة للدعوة يجتمع بالسجناء ويعرفهم بالإسلام فيعرفونه ويسلمون، ويطلب هذا الشخص الداعية من سلطات السجن السماح له ولمجموعة معه بالقيام بأداء الصلاة وإلقاء بعض الدروس في أوقات محددة فيسمح له بذلك، ويبدأ المشوار ثم تقام صلاة الجمع في السجن ويخطب لها وتكون الخطبة مركزه على ظروف ومشاكل يتعرض لها السجناء مع تقديم الحل الإسلامي لها. وأثناء الخطبة تأتي مجموعات من المسجونين فيستمعون لها ويتأثر البعض منهم بما يقال فيهم فيبدأ التفكير الجدي بهذا الدين، وكثيراً ما ينتهي به التفكير إلى الإسلام عن اقتناع وفهم. وتتسع الدائرة ويرغب السجناء المسلمون في تكوين مكتبة صغيرة، واستضافة بعض الدعاة من الخارج وتسمح سلطات السجن

بذلك، فتتم دعوتهم لأداء خطبة الجمعة فالصلاة ومن ثم إلقاء كلمة على السجناء الذين شاركوا في الحضور ومعهم غير مسلمين. وهكذا تمتد الدعوة لتصل إلى الكثيرين؛ إذ يؤثر السجناء في أقربائهم الذين يأتون لزيارتهم فيلاحظون تغيرًا طرأ على قريبهم السجين ويبحثون عن الأسباب فيجدون أن الرجل قد اعتنق الإسلام فيكبرون هذا الدين، ويبدأون التفكير فيه بجدية بعد أن كان قد عرض لهم بصورة مشوهة غير واقعية، وهذا في الحقيقة إنما أتى على ألسنتهم عند مقابلاتهم وتجاذب أطراف الحديث معهم سواء مع السجناء أو مع ذويهم وأقربائهم، على أن الواقع يشير إلى أن بعض الأقرباء ينكرون على القريب هذا المنحنى وربما ضيقوا عليه؛ لأنه في نظرهم قد ارتد عن دينه واختار دين الإسلام الذي بعض به محمد ـ ﷺ ـ في الوقت الذي كان المفروض فيه أن يقوي الرجل علاقته بدينه. ولا يتولد هذا الشعور عند هؤلاء إلا عندما يدركون أن قريبهم قد انتقل إلى دين آخر، وقبلها لم يكونوا يركزون على تدينه أو علاقته بربهم لأنهم هم أنفسهم ضعيفو العلاقة بربهم.

على أن الأمر لا يتوقف عند هذا، بل إن الكثيرين ممن يؤثرون عدم التحول للإسلام لا يلبثون أن يسلموا بعد فترة طويلة ربما امتدت إلى عشرات السنين. فإنك إذا سألت أحدهم كيف تعرف على الإسلام أجابك بأنها حادثة صغيرة مرت عليه قبل مدة من الزمان جعلته يفكر جدياً في هذا الدين حتى انتهى به المطاف إلى أن يكون أحد دعاته. فكان اللّه في عونه وكان اللّه في عون الجميع.

الجزيرة ـ الجمعة ٢٦ ذو الحجة ١٤٠٤ هـ

الموافق ٢١ سبتمبر ١٩٨٤ م

وقفة مع مكتبات النساء

تناقلت الصحف المحلية مؤخراً نبأ مفاده قيام فكرة إنشاء مكتبة خاصة بالنساء في مدينة جدة تتيح للمرأة المسلمة فرصة الاطلاع في جو يناسب ظروفها ويحمي لها مكانتها في جو تتوافر فيه الطمأنينة والراحة النفسية، في وقت تقوم فيه بالحصول على المراجع من كتب ومواد مكتبية تعينها على البحث والتوسع مع موضوعات تهمها. وقد لاقت هذه الفكرة استحسان المفكرين والمربين من أبناء البلاد، وكانت موضع ترحيب من المجتمع النسائي، إذا إن هذه الفكرة سوف تساهم في تذليل كثير من العقبات التي تقف أمام طموح المرأة في التحصيل العلمي والمساهمة في بناء مجتمع مسلم قائم على بيوت إسلامية مثالية للمرأة فيها التأثير الكبير الواضح الملموس.

ولعل هذه الفكرة لن تتوقف عند مدينة جدة، إذ إن المدن الأخرى سوف تحذو حذو جدة في الحصول على مكتبات خاصة بالنساء، خاصة المدن والقرى التي تتوافر فيها مكتبات عامة وهي كثيرة، والذي يتتبع الطموح التنموي للبلاد لا يستبعد قرب تنفيذ هذه الفكرة على مستوى البلاد كلها في وقت ليس بالبعيد، إذ إن المرأة في جميع أنحاء البلاد تخطو خطوات طيبة في طريق المعرفة تلزم إيجاد الجو المناسب لها للنهل

obeikandl.com

من بحور العلم والمعارف التي ينتظر منها أن تعينها على فهم رسالتها والتعرف على الجوانب الفعالة التي ينتظر من أية امرأة مسلمة أن تتعرف عليها وتتسلح بها.

إن افتتاح مكتبات خاصة بالنساء في جميع أنحاء البلاد له محاسن كثيرة على رأسها تلكم التي ذكرت آنفاً. ومع هذا فلا تخلو هذه الفكرة من عقبات فنية وتقنية تتلخص في مضاعفة الكتب ومجموعات المكتبات. وهذا بدوره يتطلب الإجراءات الكثيرة مثل التزويد، والفهرسة والتصنيف، والترفيف، وما يتبع ذلك من توافر المكان، وإنارته وتهويته من جهة، وتوافر العاملات على المكتبات من جهة أخرى كالمفهرسات والمصنفات، والمرففات، ونحوهن ممن ينتظر منهن القيام على هذا النوع من المكتبات، وهي ليست باليسيرة إذا نظرنا إلى ظروف اليد العاملة في بلادنا، والمحاولات الجادة القائمة على تقليص الاعتماد على القوى العاملة المجلوبة، وفي محاولة للقضاء على العقبات التي يمكن القضاء عليها، يقوم مثل هذا الاقتراح، الذي إن نال الاستحسان، فإنه سيكون الأول من نوعه، من حيث الفكرة ذاتها، لا من حيث استعمالها في مواقع أخرى، ولتجنب التفصيلات التي لا حاجة لها في هذا المقام سوف يلخص هذا البديل في الآتي:

البديل المقترح، هنا، يقوم على استعمال فكرة السيور بين بنايتين متجاورتين إحداهما قسم الرجال، والأخرى قسم النساء، بحيث تكون المكتبة واحدة في مكان واحد من المدينة، ويطرقها النساء والرجال في وقت واحد، لكن بمداخل مختلفة، وأقسام مختلفة. ويكون بين القسمين «سير» على طرفه الأول أمين مكتبة وعلى الطرف الآخر أمينة مكتبة تكون مهمتها تحويل الكتب من قسم إلى آخر حسب الحاجة. وهذا يعني مسبقاً أن هناك مجموعات من الكتب تخضع لمواضيع خاصة، فالمواضيع التي

يغلب عليها أن تستعمل من قبل الرجال تكون في قسم الرجال، والمواضيع التي يغلب عليها أن تستعمل من قبل النساء تكون في قسم النساء. «والسير» هو همزة الوصل لتلكم المواضيع المشتركة. على أنه لو احتاج أحد الطرفين عنواناً لموضوع في الطرف الآخر يقوم «السير» بمهمة جلب هذا العنوان، وهذا يعني وجود بطاقات الكتب في القسمين، وعلى كل بطاقة رمز يشير إلى موضع العنوان المراد الحصول عليه، فيكتب المطالع أو المطالعة المعلومة المراد الحصول عليها، ويسلمها إلى أمين المكتبة الذي يضعها في وعاء خاص بها، فتمرر على السير إلى الطرف الآخر لتتسلمها أمينة المكتبة وتقوم بإحضار المادة المطلوبة. وهكذا إذا طلبت المطالعة مادة يغلب عليها أن تكون في القسم الآخر، ومما يقوي هذه الفكرة أنه ليس هناك حقيقة مواضيع يمكن أن يقال عنها أنها خاصة بنوع من الناس دون آخر، وإنما هناك مجموعات يغلب عليها أن تستعمل من قبل فئة، ولكن الفئة الأخرى قد تستعملها ، والمكتبات الخاصة المستقلة ستعمد حتماً إلى مضاعفة المجموعات، مما يجعل النسخ تتكرر في المكتبتين، مع التركيز هنا على أن الأمر لا يتوقف على تعدد النسخ، بل يتعداه إلى الاجراءات التي تتطلبها هذه النسخ من الأمور الفنية، التي تبدأ منذ اختيار الكتاب، وطلبه حتى وضعه على الرفوف.

ولفكرة مكتبات السيور ـ كما يحلو لي أن أسميها ـ جوانب إيجابية متعددة الجوانب يمكن حصرها في ثلاثة عوامل: العامل البشري، العامل الاقتصادي، وعامل المكان والزمان.

١ ـ **فالعامل البشري**: سوف يتقلص في مجتمع يسعى جاداً إلى التقليص من القوى البشرية العاملة وخاصة المجلوبة، وهذه الفكرة ستضمن عدم تعداد المكتبيين الفنيين من مفهرسين ومفهرسات، ومصنفين ومصنفات، وطابعين وطابعات، والعاملين على الكتب والعاملات،

بحيث يوفر حوالى ٥٠٪ من المجهود البشري وخاصة في أقسام الإجراءات الفنية، والترفيف، ووسائل معالجة الكتب والدوريات والمواد المكتبية الأخرى. لكن هذه الفكرة لا تغني عن وجود مسؤولات للمراجع، وأمينات للمكتبات من أولئكم اللاتي يعملن في الأقسام العامة من المكتبة التي لها علاقة مباشرة بالمطالعات.

٢ ـ **والعامل الاقتصادي**: الذي ستجلبه هذ الفكرة، هو ما يتلخص في نفقات الكتب، والدوريات والمواد المكتبية الأخرى، ونفقات إجراءاتها، ونفقات العاملين عليها، ونفقات إنارتها، وتهويتها، وترفيفها. وهذه ربما تقلصت إلى ٥٠٪ أيضاً إذا تجنبت المضاعفة والتعدد في النسخ، إذ إننا نكرر هنا، أن فكرة توفير الكتاب، لا تتوقف عند كونه متوافراً أو غير متوافر بل يسبق هذا التوفر إجراءات كثير تعمل على توفيره، ولا داعي لتكرار المجهود الاقتصادي، إذا وجد البديل الذي سيوفر المادة العلمية من جهة، ويوفر نفقات كثيرة، من جهات أخرى.

٣ ـ **أما العامل المتعلق بالمكان والزمان**: فيتمثل في الحد من مكان المكتبة، من حيث المساحة الأرضية. وكون القسمين في مكان واحد من المدينة، وهذا بدوره سيساعد في توفير الوقت، عند تبادل المعلومات بين القسمين. وسوف يقضي على قسم الإجراءات الفنية بكامله، إذ ستقتصر المكتبة على قسم للإجراءات الفنية واحد يقوم بإجراء الكتب للقسمين ويعمل به طاقم واحد، هذا بالإضافة إلى جوانب مكانية وزمانية أخرى.

إن فكرة «مكتبات السيور» هي فكرة جديدة من حيث الصورة، وإن كانت السيور مستعملة في بعض المكتبات التي تتبع أسلوب الرفوف المغلفة كما أنها مستعملة في البنوك في هذه البلاد وفي بعض المتاجر

التي تقوم على الطلب من قائمة البضائع من أولئكم التي تتبع أسلوب التخفيض المتواصل وهي كثيرة في كل مدينة. والفكرة هنا مبدئية تحتاج إلى خبرة المتخصصين من أولئكم الذين يشاركوننا نفس الخلفية ليوجد فيهم الحماس لتنفيذ هذه الفكرة، والسعي بها إلى مجال التطبيق إن رؤي فعاليتها على أنها في نظر صاحبها على الأقل بديل فعال لمكتبات النساء. وقد لا تكون البديل الفعال، وكان الله في عون الجميع.

المبتعث ـ والمدينة وعكاظ

obeikandl.com

الوقف.. وبنية المكتبة العربية

أتردد على مكتبات الرياض الجامعية والعامة والبحثية وأجد فيها في الفترة المسائية بخاصة مجموعة طيبة من الرواد الذين تغلب عليهم سمات الشباب الباحثين في تكليفات من أساتذتهم في الجامعات والثانويات. وأجد اختلافاً كبيراً في المكتبات التي أتردد عليها من حيث الخدمة والمجموعات والعناية بها. ولن أتحدث عن هذا الجانب فلكل مكتبة ظروفها المادية والإدارية التي تهيىء لها الخدمة الممتازة أو تحجبها عنها.

وفي استبطان للموروث الثقافي صدر عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية كتاب للدكتور يحيى محمود ساعاتي عالج فيه مسألة الوقف على الكتب وعلى المكتبات لدى سلف هذه الأمة، ويصل إلى نتيجة أن وقف الكتب عند العرب والمسلمين كان العامل الأساسي والمهم في نشر الثقافة، وتوسيع دائرة المعرفة لدى الطلاب والدارسين على مدى قرون طويلة من خلال المكتبات العامة والمدرسية ومكتبات الجوامع والربط والخانقاهات والمارستنات «والربط جمع رباط والخناقاهات والخوانق جمع خانقة» وهي «استراحات عابري السبيل» تكون عادة في المدينة. وربما أراد بعضهم التفريق بينها فقال إن الخناقاه تكون على مشارف المدينة إلا أن الساعاتي يذكر أنها تكون عادة قريبة من

المدارس والجوامع ويرتادها طلبة العلم. وهي نواة للسكن الجامعي المتعارف عليه عندنا، وربما سعى أحدهم إلى البحث فيها وفي نظامها وإدارتها يستفيد منها في سني الطلبة الجامعيين الملصقة عادة بالجامعة.

ويذكر زميلنا من الربط والخانقاهات مما وقفت عليها الكتب سبعة عشر رباطاً وخانقاه معظمها في مكة المكرمة والمدينة المنورة ثم بغداد فدمشق.

ويذكر من البيمارستانات والمارستنات مما أوقفت عليها الكتب أربعة هي أمثلة لهذا النوع من الوقف وهي نواة للمكتبات الطبية في مصطلحاتنا الحديثة لمن أراد التوسع فيها.

ولم تخل المقابر والترب من وقف الكتب فيذكر منها الزميل الساعاتي ستة أمثلة وقفت فيها الكتب على المقابر والترب! ويتعجب البعض قائلاً: لم يقبل الأحياء على القراءة فكيف توقف الكتب على الأموات!! ويذكر المؤلف أنها كانت تستخدم ـ من الأحياء طبعاً ـ ولكنه يعتقد أن استخدامها كان «أقل الأنواع السابقة من المكتبات الوقفية».

والخلاوي كانت توقف لها الكتب والمكتبات، ووقف غير محدود ولا مخصوص بمكان ولا فئة من طلبة العلم ولدى الباحث أمثلة عدة لمن وقفوا جميع ما جمعوه من كتب في حياتهم.

ولا يقتصر الوقف على إيداع هذه المجموعات القيمة من تراث المسلمين، بل يتبع هذا إدارتها وتنظيمها وهو ما نسميه بلغتنا «العلمية» الإجراءات الفنية والخدمات العامة. فبعد التوثق والتوثيق من الوقف يتحدث المؤلف عن أبنية المكتبات وطرق الاختيار والتزويد فيها وسبل إدارتها والإشراف عليها وأمناء المكتبات الذين أداروها والتنظيم الداخلي للمكتبة الوقفية أو الموقوفة وتنظيم الإفادة منها مواعيد فتحها وإغلاقها، وربما كان أمير المكتبة عالماً أو طالب علم فأطال في مدة فتحها ولم ينظر

إلى الساعة تقترب من نهاية الدوام فيسرع إلى إطفاء الأنوار والمكيفات إيذاناً ملمحاً «!» بانتهاء الدوام.

وللمكتبات الموقوفة نظام مالي بديع حيث وقف الواقفون المكتبات عليها الدور والحوانيت والبساتين تدر عليها المال بما يعين على صيانتها والحفاظ على المجموعات فيها وضمان «مرتبات» أمناء هذه المكتبات بحيث لا يتركونها إلى مهنة تدر عليهما ما يكفل قوت يومهم.

وأحجم عن الحديث عن مصائر المكتبات الموقوفة علّي أوفق إلى دفع القارىء إلى الاطلاع على هذا الجهد العلمي، ليس بالضرورة بشراء الكتاب فلست معلناً عنه ولكن للوقوف عليه ـ ليس حساً ـ بالمكتبات التي تنتشر اليوم في المدن والقرى، وعلى المكتبة التي لم تقتن هذا الكتاب بعد أن تسرع بعرضه على الناس لعل فيهم ـ وفيهم ـ من يسعى إلى وقف مكتبته أو وقف شيء من خيره الذي حباه اللّه إياه وكيلاً عليه على مكتبات البلاد، ليس عجزاً من المسؤولين ولكن المشاركة الأهلية في نشر العلم والثقافة شيء مرغوب فيه كما هي الحال في مكتبة الملك فهد بمدينة الرياض التي يتوقع منها أن تكون أنموذجاً للمكتبة العصرية في تصميمها، التراثية في مجموعاتها، الوطنية في مهماتها.

فالوقف على المكتبات ووقف الكتب والمكتبات ميزة تحتاج إلى إعادة خاصة أن نواة هذا الوقف موجودة اليوم حينما «يهدي» طلبة العلم مكتباتهم الخاصة للمكتبات العامة أو الجامعية قصداً إلى الإفادة منها، ويكون فيها عادة من نوادر الكتب قديمها وجديدها ما يضيف شيئاً غير يسير للمعرفة، بدلاً من أن تبقى محصورة على أعداد محدودة جداً من المطالعين، هذا إذا لم يكن مصيرها مصير بعض المكتبات السالفة حين تؤول إلى من هم بعيدون عن الكتاب.

وحديثي عن المؤلف مطعون فيه، وعليه فإني لن أكيل له عبارات

الإطراء على ما قام به من جهد وأترك هذا للشيخ/ عبد الرحمن بن عقيل حينما عرض لكتاب المؤلف «كيف ورثنا الأمية» فعرج على الكتاب الذي نتحدث عنه، وأكتفي بما قاله عنه في مجلة «القافلة» في أحد أعدادها المتأخرة.

والإقبال الملحوظ على المكتبات اليوم ورعاية الدول لها مؤشر على دعوة المؤلف إلى التأكيد على الأثر الحضاري الرائع للمكتبة التي يمكن أن تعتبر القاعدة التي أدت وتؤدي إلى قيام حضارة متميزة في المجال العلمي والإنساني تفخر بها الأمة، ورغم التحديات التي تواجهها المكتبة اليوم إلا أنها تظل المنبع الأول للعلم والفكر والثقافة لمن أراد التعمق في هذه الأمور وعدم الاقتصار على السطحي من «المعلومات» السريع منها الذي يصعب على المرء أن يعمد إلى ترسيخه في الذهن لعدم اعتماده على توثيق الحقائق والمعلومات.

مصير الكتاب:

وأذكر أنني سبق وأن تحدثت عن مستقبل الكتاب على صفحات هذه الجريدة العزيزة، وكان في حديثي نبرات من الانبهار بالتقنية الحديثة التي كان يتوقع لها أن تنافس الكتاب في نقل وتخزين المعلومات، ونقلت فكرة من يقول إن المجتمعات العلمية في العقود القادمة ستكون مجتمعات خالية من الورق! والعجب أن الذين تحمسوا لهذه الفكرة نقلوها للآخرين عن طريق الورق! ولا يبدو أو يلوح في الأفق البعيد أن الكتاب الورقي سوف يتزحزح عن مكانته المرموقة التي يتبوؤها منذ أن اخترع الورق.

ولا بد من التحذير هنا بنبرة تختلف عن نبرة الانبهار السابقة ـ من الانقياد إلى هذا الادعاء الذي يسعى إلى تخفيف تأثير الكتاب على المجتمع بشتى توجهاته العلمية والفكرية والثقافية. ولا أظن أنه يضير

الكتاب هذه التقليعات التي يمليها أسلوب العصر اللهاث وراء التقنية بحيث يتحقق أسلوب جديد من أساليب «الاستعمار» التي ما فتئت تتجدد في كل عصر وزمان. خاصة إذا لاحظنا أننا اليوم نصنع الكتاب خاماً ومادة علمية ونستورد جميع الأشكال التي يتوقع منها أن تحل محل الكتاب، فنكون عالة على غيرنا في تطويع هذا المستورد لبيئتنا وثقافتنا وطريقتنا في تلقي المعلومات، تلك الطريقة التي تختلف، ولا شك عن الطريقة التي يتلقى فيها الآخرون المعلومات، فالمستقبل كما كان الماضي سيظل للكتاب وعلينا مسؤولية رعايته والاهتمام به واحتضانه وخدمته فما خدمنا مثله. وكان اللّه في عون الجميع.

الجزيرة ـ الأحد ٧ ربيع الثاني ١٤١٠ هـ

٥ نوفمبر ١٩٨٩ م ـ العدد ٦٢٤٧

obeikandl.com